

موقف إخوان الصفاء من الموت دراسة فلسفية

أ.م.د. علي هادي ظاهر

كلية الآداب / جامعة البصرة

Email : ph.dr.ali2000@gmail.com

الملخص

اهتم إخوان الصفاء بموضوع الموت، ونظروا له من جانب ديني إذ اعتمدوا فيه على ما ورد من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وشواهد أخرى استقوها من الديانات السماوية الأخرى، كما أشاروا إلى بعض الشواهد التاريخية من مختلف الحقب الزمنية والتي أكدوا من خلالها بضرورة قبول الموت، والرضا بقضاء الله وقدره.

إن على الإنسان المؤمن أن لا يخاف الموت، ولا يحزن بحلولة؛ لأن فيما بعد الموت حياة خالدة يجازى فيها على ما عمل من أعمالٍ صالحَةٍ. وعلى العاقل أن يدرك ذلك، وأن يعلم أنه خشي الموت أم لم يخشاه، قبل به أم رفضه، فإن حلولة أمر لا مرية فيه. وتكلموا عن المراحل التي يمر بها الإنسان منذ لحظة حياته كجنين في الرحم ثم خروجه من حياة الرحم والتدرج بالمراحل العمرية، انتهاءً بالموت، فحياة البرزخ، ثم البعث والقيامة.

سعى الإخوان إلى إقناع الآخر بأن الموت إنما هو مفارقة النفس للبدن، وأنه نهاية شكلية لحياة تسمى الدنيا حيث تقطع النفس علاقتها بالجسد، وتنتقل إلى حياة جديدة روحية حيث الخلاص من عالم المادة، وعالم الكون والفساد، عالم الجسد الثقيل ومتطلباته الكثيرة، إذ تتخلص النفس من التعب والعناء الذي كانت تلاقيه من أجل سد وإشباع حاجات الجسد تجنباً للآلام المترتبة على عدم سد احتياجات الجسد الغريزية. فتنحصر من القيد الذي كان يمنعها من العروج نحو العالم السماوي الفسيح، لتتنعم بالخيرات والمسرات الدائمة حيث ملائكة الله وعباده المخلصين من الرسل والأنبياء والأولياء.

نظر الإخوان أيضاً للموت من منظور فلسفي تكلموا فيه عن فلسفتهم ومنهجهم التأويلي حتى بالغوا في الأمر، فأولوا الآيات القرآنية التي ذكرت الموت والبرزخ والبعث والقيامة والجنة والنار وأصحاب الأعراف وغيرها.

الكلمات المفتاحية: إخوان الصفاء، القيامة الكبرى، القيامة الصغرى، الموت، الروح، الجسد، النفس الانسانية .

Al-Safa Brothers Position on death is a Philosophical study

Assist . Prof. Dr.Ail Hadi Tahir

College of Arts / University of Basrah

Email : ph.dr.ali2000@gmail.com

Abstract

The Brothers of Purity were interested in the issue of death, and looked at it from a religious aspect, relying on it from the Qur anic verses, prophetic hadiths, and other evidence they drew from other monotheistic religions, they also referred to some historical evidence from different periods of time, through which they emphasized the necessity of accepting death and being satisfied with the judgment and destiny of God .and that the believer should not fear death, nor be sad with its advent, because after death an eternal life is rewarded for the good deeds he has done. and the rational person has to realize that, and to know that he feared death or not, whether he was satisfied with it or rejected, because his immobility is a must.

And they talked about the stages that a person goes through from the moment of his life as a fetus in the womb, then his departure from the life of the womb and the stairs in the stages of life, the death penalty, the need for the isthmus, the resurrection and the resurrection.

The Brotherhood sought to convince the other that death is the paradox of the soul, the body, and that it is formal end to a life called the world where the soul cuts its relationship with the body, and moved to a new spiritual life where salvation is from the world of matter, the world of the universe and corruption, the world of the heavy body and the many requirements as the soul gets rid of fatigue and the suffering that she used to meet in order to fill and satisfy the needs of the body in order to avoid the pain resulting from not meeting the instinctive needs of the body, so she would be freed from the restrictions that prevented her from ascending into the vast heavenly world to enjoy the good things and the lasting delights where the angels and loyal servants of god are the messengers, prophets and saints.

The Brotherhood also looked at death from a philosophical perspective, in which they spoke about their philosophical and hermeneutic approach, until they exaggerated the matter, so they gave the Quranic verses that mentioned death, the isthmus, resurrection, the resurrection, heaven and hell, the owners of customs, and so on.

Key words: The Brothers of Purit , Major Resurrection ,Minor Resurrection,The death , The Spirt , The bod , The Human Psyche.

المقدمة

الموت حقيقة لا تقبل الشك، ومعضلة ليس لها حل، ومشكلة شغلت فكر الإنسان منذ القدم وحتى اللحظة، فالإنسان بعد أن ادرك بأن الموت لا مفر منه، وأنه سيحل عليه في يومٍ من الأيام وبشكلٍ مفاجئٍ مهما طالّت مدة بقائه في الحياة، أخذ يتساءل ما الموت وماذا عن مصيره فيما بعد الموت، وما الغاية والحكمة منه، فتعددت الإجابات، وتنوعت الآراء، واختلفت المواقف. وهذه الأمور تتضح بمجرد الاطلاع على ما ورد من أفكار في الحضارات الشرقية القديمة والحضارات الأخرى. علاوة على ما جاءت به الأديان السماوية من عرض مفصل حول الموت، والحديث عن حياة البرزخ، والبعث والقيامة، وما الغاية والحكمة من الموت. فقدمت وصفاً للموت جمع بين الترهيب والترغيب، والتذكير بحقيقة الحياة والموت، بل حتى الديانات الوضعية غير السماوية قدمت تصوراتها حول الموت، وكيف سيكون مصير الإنسان بعده.

ولم يقف موضوع الموت عند حد الأديان وحسب، بل كان وما يزال من أهم المشكلات الفلسفية منذ اليونان والرومان، والفلسفة المسيحية، والفلسفة الإسلامية، والفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، ولحد الآن. إذ نجد من الفلسفات من ركزت على أهمية حياة ما بعد الموت، بوصف الموت حقيقة وجودية، ومنها من عدت الموت حقيقة عدمية مفادها أن النفس تفنى بفناء الجسد، وكأن الموت نوم أبدي لاحياة بعده أبداً، لاحياة برزخ، ولابعث وقيامة، ولاثواب ولا عقاب ، إذ لا حياة إلا الحياة الدنيوية، ولا وجود لحياة آخروية.

وعلى الرغم من كل ما قيل عن الموت دينياً وفلسفياً فإنه يبقى حقيقة لا يمكن تجاهلها لما لها من الرهبة والوقع الكبير على النفس الإنسانية، إذ كل ما قيل من أخبار وروايات دينية إنما هي مجرد وصف لحياةٍ جديدةٍ لم يجربها الإنسان بعد، وكل ما قاله الفلاسفة من أفكار وآراء فهو إما مأخوذاً من الدين ، أو هو من وحي أفكارهم وحصيلة تأملاتهم واستنتاجاتهم الخاصة ، أو نقلاً لأفكار تبناها من الفلاسفة السابقين لهم وحتى المعاصرين لهم. فيبقى الموت على كل حال رحيل نحو عالم مجهول، وأمر وقوعه حتماً على كل المخلوقات، فنحن كبشر نخشاه ونحزن ونفر من ذكره تارة، وتارة نتمناه خاصة في لحظة فقد الأحبة، وعندما يحل بنا أمر عظيم لا نستطيع عليه صبراً، ونقدم عليه في بعض المواقف المصيرية

تارة أخرى. ننسأه أو ننتأسه وكأنا غير مشمولين بقومه مرة، ولا يكاد يفارق فكرنا لحظة مرة أخرى. وهكذا يبقى موضوع الموت من الموضوعات المهمة من الناحية النفسية، والدينية والفلسفية.

وانطلاقاً من أهمية موضوع الموت في الفكر الفلسفي الإسلامي ، فقد خصصت هذه الدراسة للحديث عن موقف جماعة إخوان الصفاء^(١) من الموت، فتكلمت أولاً عن موقفهم من موضوع كره الموت والخوف منه وأسباب ذلك الخوف والكره من قبل الكائنات جميعاً بشكل عام وعند الإنسان بشكل خاص. وبعدها أشرت إلى موقفهم من الموت، ثم تطرقت لموضوع ما بعد الموت ابتداءً من حياة البرزخ وانتهاءً بالبعث والقيامة. أما المحور الأخير فدار حول ما ذكره الإخوان من أفكار تتعلق بحكمة الموت.

أولاً :- أسباب الخوف من الموت

قبل الحديث عن أسباب الخوف من الموت عند الإخوان، أجد من المناسب الإشارة إلى مسألة انقسام المهتمين بموضوع الخوف من الموت على قسمين: قسم أكد أن الخوف فطري، وقسم آخر أكد على أنه مكتسب^(٢). أما الإخوان فقد جمعوا بين الجانبين الفطري والمكتسب، وهذا ما سيتضح بجلاء من خلال حديثهم عن أسباب الخوف من الموت ، التي نظروا لها من ثلاثة جوانب هي: أسباب كره الموت وخوفه من قبل الكائنات بشكل عام، وأسباب خوف الموت وكرهه من قبل الحيوانات ، ثم أسباب كره وخوف الإنسان من الموت، إذ انتقلوا من الكلي إلى الجزئي، ومن العام إلى الخاص.

أكد فلاسفتنا موضوع البحث أن الموت تكرهه الموجودات وتفر منه ، والسبب أن الكائنات مجبولة على حب البقاء وكره الفناء ، حتى باتت هاتان الشهوتان على حد وصفهم قانوناً لجميع شهوات النفوس المركوزة في جبلتها، وأصبحت أصول وقوانين لجميع أخلاقها وسجاياها، وصارت تلك الأخلاق أصولاً وقوانيناً لجميع أفعالها ومتصرفاتها^(٣). هذا فيما يخص السبب الأول.

أما السبب الثاني في جعل هاتين الحالتين مركوزتين في جبلة كل الموجودات وجميع الكائنات فهو ميلها للتشبه بعلة وجودها وسبب كونها، ومبدعها، ومخترعها، وموجدتها، ومبقيها، ومتممها، والمكمل لها إلى أن تبلغ أقصى غاياتها، وأفضل حالاتها. وبما أنه تعالى

دائم البقاء ولا يعرض له شيء من الفناء، أصبح في جبلة الموجودات حب البقاء وكره الفناء وبغضه، إذ في جبلة المعلول توجد بعض صفات العله^(٤).

وهناك سبب ثالث مفاده أن الموجودات والكائنات تُحبذ البقاء، ونقر من الفناء؛ لأنه ثبت في أوائل العقول بأن الوجود على الحال الأفضل يكون ألد وأشرف وأفضل من الوجود على النقص ، حتى أن الحكماء والفلاسفة أكدوا أن كل شيء يُراد فمن أجل الخير، والخير يُراد من أجل ذاته إذ حاله كحال السعادة التي هي الأخرى تزداد لذاتها، لا لأجل شيء آخر، فتتجسد السعادة الدنيوية بأن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حالاته وأتم غاياته، مثلما أن السعادة الأخروية في بقاء كل نفس أبد الأبدية على أفضل حالاتها وأتم غاياتها. وهكذا فالموجودات وجميع الكائنات تفضل البقاء على النقص والقصور وزوال مادة بقائها وفسادها وتغيرها واضمحلالها، إذ كل موجود متى ما عدم سبباً من أسباب وجوده فأنها إنما تتعرض لما يمنعها من بلوغ الحال الأفضل والوجود الأكمل لها ، كالنبات مثلاً والحيوان، فإنه متى عدم الغذاء والذي يمثل هيوولى الأجساد ومادة بقائها، هلك، والأمر عينه مع النفوس ، كما يرون إنه متى ما بطلت هياكلها فقدت الشعور والإحساس، ولا تتمكن من إظهار أفعالها وتأثيراتها على الرغم من أن النفوس موجودة^(٥).

أما عن أسباب خوف الموت وكرهه من قبل الحيوانات فأكدوا بأن خوفها مرجعه علتان: الأولى لما يلحق نفوسها من أوجاع وآلام عند الموت، والثانية عشقها للبقاء ، لأن علتها وموجدتها أبدي الوجود دائمي البقاء^(٦).

وبيّنوا أن الله تعالى بحكمته جعل من الحيوانات تحس بالألم، إذ جواهر الأجساد بالحقيقة جاهلة وعاجزة وميتة وناقصة ، ولو لم يجعل الله نفوسها تشعر بالآلام التي يفعل بها الجسد فتحس بالأوجاع من تلك الأشياء المؤذية وتعمل على دفعها والابتعاد عنها وتصونها من عوارض التلف إلى أن تتم تلك الأجساد، وتكتمل تلك النفوس، لتهاونت الحيوانات بما يصيبها من آفات ولفسد أكثرها قبل تمامه وكمال نفسه. وهكذا تبقى إلى مجيء لحظة الموت الطبيعي، شاءت أم أبى تلك النفوس، إذ لا بد لها من الموت ولا مفر لها منه ، فحال مجيئه كمجيء الطلق للولادة حيث لا بد للجنين من الخروج عند الولادة شاء أم أبى^(٧).

وفيما يخص أسباب خوف الإنسان من الموت ذكروا عدة أسباب يمكن إجمالها بما يأتي:

أ- بما أن الإنسان مركب ثنائي من نفسٍ روحانية وجسد جسماني وهما من جوهرين متباينين في الصفات، ومتضادين في الأحوال، وإن كانا يشتركان في الأفعال العارضة والصفات الزائلة، أصبح لدى الإنسان قنيتان: فمن حيث الجسد أصبح مريداً للبقاء في الدنيا متمنياً للخلود فيها، ساعياً إلى متاعها وجمع المال، وإصلاح حال الجسد المستحيل الفاسد الفاني والعمل على إشباع اللذات من مأكّل ومشرب وغيرها وحضور المجالس لإشباع الرغبات. ومن أجل نفسه صار طالباً لدار الآخرة متمنياً البلوغ إليها، ومن جهة النفس الروحانية أصبح ميالاً لما هو روعي كطلب العلم والدين لغرض إضاءة النفس وإشراقها بالحكمة والعمل على السماع الروحاني الذي يولد لدى النفس اللذة التي لا تبيد جواهرها، ولا ينقطع سرورها في الدار الآخرة^(٨).

ب- الجهل والغفلة عن حقيقة عالم الآخرة، إذ إنّ أبناء الدنيا غافلون ساهون جاهلون لا يدرون عن نعيم الآخرة وما فيها من نعيمٍ ولذاتٍ وسرور وفرح وراحة. وهؤلاء لو كانوا يعلمون عن حقيقتها لرغبوا فيها أشد الرغبة، ولكنهم وبسبب الغفلة توجهوا نحو طلب الدنيا ونعيمها ولذاتها وشهواتها حتى تمنوا الخلود فيها، ففضلوا الخلود فيها؛ لأنها محسوسة لهم يشهدونها، وبما أن لذات ونعيم الآخرة لا تتركها حواسهم فتركوا البحث عنها والرغبة فيها والطلب لها، ومصدق حالهم ما جاء في قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ))^(٩).

ج- عدم الإيمان بالآخرة وعدم التصديق بالمعاد، فهم يطلبون الإقامة في الدنيا ويتمنون الخلود فيها، ولا يتصورون الوجود إلا هكذا، فيظن البعض ويتوهم أن الموت عدم أو شر محض^(١٠).

د- تعلق النفس بالجسد وتعودها على ملازمته أو عشقه، فتعلق النفس بالجسد وابتلائها بعشقه يشبه رجل حكيم في بلد الغربة وقد ابتلي بعشق امرأةٍ رعناء فاجرة سيئة الأخلاق، رديئة الطبع، تطالبه وفي دائم الأوقات بالمأكولات والمشروبات اللذيذة، والملبوسات الفاخرة، والمسكن المزخرف، والشهوات المردية. ونظراً لشدة محبته وعظم بلائه أصبح كل همه وهمته

إصلاح أمرها، والعناية بتدبير شؤونها حتى وصل إلى حال أنه قد نسي نفسه وإصلاح شأنه، وبلدته التي خرج منها وأقرباءه الذين نشأ معهم، ونعمته التي كان فيها في بداية أمره

فالنفس في الحقيقة جوهرة سماوية، وعالمها روحاني حية بذاتها، وليس لها حاجة إلى الأكل والشرب وغيرها من احتياجات الجسد، ولكنها وبسبب ارتباطها بالجسد تتحمل المتاعب والهموم، والأعمال الشاقة، والصنائع المتعبة للكسب، سعياً لسد الاحتياجات مادامت مع هذا الجسد^(١١) الذي أهبطت إليه من عالمها الروحاني، وأسقطت من مرتبتها العالية للجناية التي ارتكبتها، فغرغت في بحر الهيولى، وغاصت في قعر أمواج الأجسام، إذ انطلقت في ظل ذي ثلاث شعب، وغرقت في هياكل الأجسام وتفرقت الأنفس بعد هبوطها، فعرض لها من الدهشة والأهوال والمصائب، وأصبح مثلها كمثّل ركاب البحر الذين كسر مركبهم بسبب اشتداد الرياح واضطراب الأمواج، فغرقوا في البحار وغاصوا في ظلمات الماء، وتفرقوا بين غائص في الماء، وآخر متعلق بخشبية، وقسم ركب على كتف البعض، والكل ينادي نفسي نفسي، فانتهى بهم الأمر أن تفرقوا بين الجزر والسواحل، وانتهى الحال بالبعض أن أصبحوا في بطون الحيتان. فهكذا حال النفوس في هذه الدنيا حيث ابتلائها بظلمات الأجسام، والانشغال بهموم المعاش، والخوف من الجوع والعطش والعُري، وآلام الأمراض والأسقام، وأذية الحر والبرد، وأحزان النوائب. ونست بسبب كل هذه الشواغل أمر عالمها، ومبدءها، ومعادها ولم تتذكره^(١٢).

وأكدوا أن النفس متى انتبهت من نوم غفلتها واستيقظت من رقدة جهالتها، وأبصرت ذاتها، وعرفت جوهرها، وأحست بغريبتها في عالم الأجسام وماهي فيه من محنة الغرق في بحر الهيولى، وأسرها بالشهوات الطبيعية وأخذت تنتسم بروح عالمها وريحانها، فأنها سوف تشتاق إلى عالمها، والميل للكون فيه، والزهد في نعيم الدنيا، ومقت الكون مع الأجساد، وعندما سنتمنى الموت، ويكون حالها كحال من خرجوا من الحبس والمطامير مع ضوء الصباح فشاهدوا هذا العالم بما فيه دفعة واحدة. أما النفوس التي لم تحظّ بالبصيرة فمثلها كمثّل العميان الذين لا ينفعم ضوء النهار، وظلمة الليل، فمن لم تستبصر نفسه ولم تبحث وتجتهد في التعلم على الرغم مما لديها من حواسٍ صحيحةٍ وعقلٍ وتمييز، فإنها عمياء في

الحياة، أما بعد الممات فهي أعمى وأضل سبيلاً^(١٣) وهذا مصداق قوله تعالى ((وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً))^(١٤).

وبسبب ترك أكثر الناس للنظر والبحث في علم النفس فقد فاتهم معرفة أنفسهم، فلم يتكلفوا بسؤال العلماء والعارفين، إذ لم يهتموا لأمرها وطلب خلاصها من بحر الهبولى وهابوية الأجساد، والنجاة من أسر الطبيعة، حتى أنهم باتوا يميلون للخلود في الدنيا والانشغال في اللذات الحسية حد الغرور والأنس بها، فغفلوا عما ورد وصفه في كتب الأنبياء حول الجنان، وعالم الأفلاك، والروح والريحان، بل ولم يلتفتوا لما أشار إليه الفلاسفة الحكماء من مسائل يقصر عنها الوصف من لطيف المعاني، ودقائق الأسرار. فهم وبسبب قلة التصديق لما ورد من أخبار تعلقوا بالجسد وركزوا على صلاح معيشتهم في الحياة الدنيا فقط وعملوا على جمع الأموال، والاهتمام بالمأكل والمشرب والملبس والمركب والمناكح، فصارت نفوسهم عبيداً لأجسادهم، والأجساد هي المالكة لنفوسهم، فسلطوا الناسوت (الجانب الإنساني المادي) على اللاهوت (الديني الروحي)، سلطوا الظلمة على النور، والشياطين على الملائكة، فصاروا من حزب إبليس وأعداء الرحمن^(١٥).

هذه بإيجاز أسباب خوف الموت وكرهه لدى الإنسان وفقاً لرأيهم، إذ نجدهم نقدوا من اهتم بأمور جسده فقط على النفس، ونقدتهم هذا يُعيد للذهن النقد الذي قدمه أفلاطون^(١٦) في كتاب الجمهورية حيث نقد من اهتموا على حد تعبيره بتثقيف الجسد على حساب النفس، ولم يتعرفوا على الفضيلة والحكمة، وقضوا حياتهم بالولائم وأمثالها سعياً إلى نيل اللذة، وهم على كل حال لم ينالوا اللذة الحقيقية، بل هم كالسائمة أي كالأنعام التي ترعى ولا تعلف. لا ينظرون إلا إلى الأسفل فيدون تلك الرؤوس نحو موائد الطعام، هدفهم الرئيس الشبع والسمن والولادة وسد الشهوات ويرفسون بعضهم بأطلاف حديدية، ويتناطحون بقرون حديدية بسبب الشهوات والشرة، إنهم ملأوا قسم طبيعتهم الشهواني غير الحقيقي، ولم يرتفعوا إلى العلل الحقيقية^(١٧).

كما يظهر الأثر الافلاطوني في قضية هبوط النفس بسبب الخطيئة، وبسبب اتصالها بالجسد وانشغالها بتدبيره قد نسيت أمرها. فالإخوان حاولوا في حديثهم عن النفس والأطوار التي تمر بها وهبوطها إلى العالم السفلي الجمع بين التصورات الفلسفية المختلفة ودمجها

بالتصور الإسلامي، إذ لم ينفكوا من تصورات القرآن الكريم من مسألة نزول آدم (ع) إلى الأرض بسبب الخطيئة، ودمجها بما يتلائم مع تفكيرهم^(١٨).

والذي دفع الإخوان إلى المواجهة بين الآراء المتنوعة حول موضوع النفس وبقية الموضوعات التي عرضوها في رسائلهم هو نزعتهم الانتقائية والتوفيقية في الوقت نفسه^(١٩).

وما ذكره جماعة إخوان الصفاء من أسباب الخوف من الموت وكرهه مقارب جداً لبعض الأسباب التي ذكرها بعض الفلاسفة المسلمين الذين تطرقوا للموت وأسباب والخوف منه، وكيفية الخلاص من ذلك الخوف، بما في ذلك الفلاسفة الذين سبقوهم، والذين جاءوا بعدهم^(٢٠).

ثانياً: - موقف إخوان الصفاء من الموت

عرّف الإخوان الموت بأنه ((ليس شيئاً سوى مفارقة النفس للجسد، كما أن الولادة ليست شيئاً سوى مفارقة الجنين الرحم))^(٢١).

وأكدوا أن أسباب حدوث الموت إما أن يكون سبباً طبيعياً أو عرضياً، فسموا الأول بالموت الطبيعي، والثاني بالموت العرضي، أو الموت بقربان في سبيل الله تعالى، فتستخرج تلك النفوس من الأجسام كما يُستخرج الدر من الصدف، أو الجنين من الرحم، أو الحب من الأكمام أو الثمرة من القشرة، حتى تستأنف بأمر آخر كما تستأنف بالدر حال إخراجها من الصدف ورمي الصدف، وكالثمرة والحبوب حال قطعها أو حصادها، ورمي قشورها^(٢٢)، واستشهدوا بقوله تعالى: ((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدَلَ أَمْثَالِكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ))^(٢٣).

والموت عند الإخوان نوعان كما أن الحياة نوعان: جسماني ونفساني. فأما الحياة الجسدية فليست سوى استعمال النفس الجسد، والموت الجسداني ليس سوى تركها استعماله أي أنها كاليقظة والنوم، فاليقظة تعني استعمال النفس للحواس، والنوم يعني تركها استعماله^(٢٤).

أما النفس فحياتها ذاتية لها؛ لأنها جوهر حية بالفعل، وعلامة بالقوة، وفعالة في الأجسام والأشكال، والنقوش والصور بالطبع، وموتها هو جهالتها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها، وهذا الأمر إنما يعرض لها بسبب شدة الغرق في بحر الهيولى، ولبعد ذهابها في هاوية الأجساد، وانشغالها أو غرورها بالشهوات الجسمانية، ولهذا أصبح أكثر الناس ويسبب جهالاتهم بجوهر نفوسهم وغفلتهم عن حياتها الأبدية لا يعرفون إلا هذه الحياة الدنيا، أو الحياة الجسدانية الدنية المنقطعة، فتمنوا الخلود فيها، وغفلوا عن الحياة الآخرة، حياة النفس الدائمة أبداً، وهؤلاء النوع من البشر ورد مّمهم بالقرآن الكريم في أكثر من آية (٢٥).

وعلى الرغم من تأكيد الإخوان أن النفس جوهر حي بالفعل إلا أنهم تكلموا أيضاً عن حياتين وموتتين للنفس الإنسانية. تتمثل الحياة الأولى بحياة النفس بالبعث الأول إلى دار الدنيا، وأما حياتها الثانية فتتمثل بالبعث الثاني يوم القيامة. أما عن ميّة النفس الأولى فتعني ميّة الجسد ومفارقة النفس إياه. وأما الميّة الثانية فإشارة إلى ياسها من الثواب على ما كانت تظن أنها تثاب به في الدار الآخرة، وعند ذلك يحجب عملها وسعيها، ويكذب ظنها فتموت موة الحسرة والندامة (٢٦).

وأكدوا أنهم استمدوا تلك الفكرة من الموروث الديني، وذكروا في صفة أهل الجنة قوله تعالى: ((لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)) (٢٧)، وهذا إشاره كما يرون للسعداء الذين أشار إليهم الباري عز وجل بقوله تعالى: ((وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ)) (٢٨).

وبيّنوا أن الأشقياء هم الذين يتمنون العودة إلى دار الدنيا، وما يتطلبه ذلك من تعلق بالأجساد مرة أخرى، فيذوقون الموت مرة أخرى، وهؤلاء ورد ذكرهم بقوله تعالى: ((قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ)) (٢٩). واستعاذ جماعة إخوان الصفاء من هذه الطائفة بقولهم: ((أعاذك الله أيها الأخ من هذه الطائفة وإيانا وجميع إخواننا حيث كانوا في البلاد، أنه لطيف بالعباد.)) (٣٠).

أما عن كيفية الموت عند إخوان الصفاء فإنهم لم يتكلموا عنه برسالة واحدة وبشكل مفصل، بل تطرقوا له بعدة رسائل، حيث كانوا يذكرونه بين الفينة والأخرى بعدة رسائل،

وحتى أُعطي صورة متكاملة عن هذا الموضوع فما عليّ إلا لملمة شتات تلك الأفكار وجمعها من مختلف رسائلهم، لأقدم فكرة متناسقة شاملة حول موقفهم من موت الإنسان.

فأكدوا أن الإنسان بعد موته إنما يقطع مراحل في الخلقة، من نطفة وكونه جنيناً إلى اكتمال تخلقه في الرحم فتتخرق المشيمة وتتقطع تلك الأوتار وما يرافقها من أمور الولادة، وما تلقاه الأم من جهدٍ وشدةٍ، فيخرج من ذلك المكان الضيق المظلم إلى عالم الدنيا. فينتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الصبا، ثم أيام الشباب، لتليها أيام مرحلة الشيخوخة حيث ذهاب قوة الإنسان وتغير رونقه، وإدباره ونقصانه^(٣١)، وعند إتمام الإنسان للعمر الطبيعي^(٣٢) المعلوم عند الله تعالى الذي جعل لأجله وقتاً مقدراً لا يتجاوزه ولا يقصر عنه^(٣٣)، ستحل به سكرة الموت بالحق، والمتمثلة بمفارقة النفس الجسد ومعاناة الحقيقة التي كان يوعد بها، كما ورد في قوله تعالى: ((فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ))^(٣٤)، فالموت يحل على جميع النفوس ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ))^(٣٥)، و لا رجوع للنفس إلى ربها الرحمن الرحيم إلا بعد الموت، والوصول إلى وعد الله ورسوله^(٣٦). وأشاروا إلى تولي ملك الموت والملائكة عمل مفارقة النفس للجسد، إذ يقوم ملك الموت بإخراج النفس: ((قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ))^(٣٧).

وسموا ملك الموت بقبالة الأرواح وداية النفوس تشبيهاً بالداية أو قابلة الأجساد عند ولادة الأطفال^(٣٨). وأكدوا أن النفس إذا كانت طائعة وبلغت إلى غاياتها في الصورة الإنسانية حيث استحقت بما كسبت من أعمال جعلتها تنال صورة ملكية، والانتقال إلى رتبة سماوية فعند نزول الموت بساحتها تنزل إليها الملائكة الطيبين، الذين سماهم إخوان الصفاء بروحانيات الزهرة والمشتري بالرفقة والرحمة، وحالهم تقابل على حد تشبيههم بالقوالب والدايات لأولاد الملوك بمفاخر أمور الدنيا وطيبات روائعها، ومناديل السندس والاستبرق والفرح والسرور، والبهجة والاستبشار وهذا مصداق قوله تعالى: ((الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))^(٣٩). إذ تفرح بهم الملائكة وتعاين تلك النفوس من البهجة والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فتبقى ما شاء الله مع الملائكة الذين يتصلون بالمؤمنين الأخيار، وتترأى لهم في منامهم بالبشارة والاطمئنان، وحسن

المنقلب والطمأنينة في الآخرة. وإذ كان يوم القيامة وبلوغ النهاية عرجت بها الملائكة إلى الجنان والنعيم المقيم، والملك الدائم، جنة عرضها السماوات والأرض^(٤٠).

أما عن أصحاب الأرواح الساهية اللاهية كما سموهم، فعند حلول الموت عليهم تأتيهم ملائكة باسطو أيديهم لإحراق أنفس هؤلاء وتعذيبها بالنفط، والقطران، والنيران، وما شابه ذلك من ألوان العذاب والهوان، وشجرة الزقوم، وماء الحميم، والأغلال والسلاسل، والقيود. وحالهم تشبه حال ولادة أصحاب البلاء والمحن والفقر من أهل الدنيا، إذ يصاحب خروج الجنين أنواع المحن، كأن يتغذى مثلاً بلبن أم مصابة بالجذام، ويكون من أب مجذوم، ومن أهل بيت من أصحاب البلايا والمحن^(٤١).

وأضاف الإخوان إلى جانب هذين الفريقين هناك من يتوفاهم الله تعالى بيده، وأشاروا إلى قوله تعالى: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))^(٤٢)، وهم أصحاب النفوس ذات الرتبة العالية، والدرجة السامية المجردة، المنذرة المؤيدة من الله تعالى بكلامه ووحيه، القدسية الظاهرة، المضيئة بنور الحكمة^(٤٣).

وفيما يخص المرحلة التي تلي خروج النفس من الجسد، فالجسد سيوارى الثرى^(٤٤)، وسيفقد الحس والحركة، والشعور، والأصوات والتصاريف^(٤٥)، وتحل عليه التغيرات حيث ينفخ وينتن، ويفسد ويبلى في التراب ويضمحل^(٤٦). إذ الجسد ميت بجوهره، وحياته عرضية؛ وذلك لمجاورة النفس إياه، وحال مفارقة النفس فموثله الفساد والتلاشي، والعودة للتراب كما كان: ((مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ))^(٤٧).

يتضح من كلام إخوان الصفاء عن الموت أنهم جمعوا في حديثهم هنا بين الترهيب والترغيب، وأنهم سعوا جاهدين إلى عرض الموت من الناحية الدينية فعززوا كل موقف بأية كريمة من القرآن الكريم.

وبعد إيضاح موقفهم من الموت سأنقل للحديث عن موضوع ما بعد الموت.

ثالثاً: - ما بعد الموت

١ - البرزخ

أكد الإخوان أن الإنسان سينتقل بعد الموت إلى حياة أخرى هي البرزخ، والبرزخ هو الطريق الذي ينتقل فيه الإنسان أما إلى الجنة أو إلى النار، فهي الباب الذي سيغادر من خلاله الإنسان من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، وقد استشهدوا كعادتهم بآيات عدة على أهمية الحياة الآخرة^(٤٨).

تعتمد حال النفوس بعد الموت على أعمال الإنسان في الحياة الدنيا، ومدى استكمال نفسه بالفضائل، فكلما كان مستكماً أمكنه الصعود إلى ملكوت السماء^(٤٩). إذ النفس الإنسانية متى اعتدلت قواها، وعدلت عن الطبيعة إلى جهة العقل كانت كالملائكة، وأصبحت أفعالها مشابهة لأفعالهم، وبمجرد حصول الموت فإنها ستصير إليهم وتقدم عليهم. أما النفوس التي عدلت عن العقل إلى الطبيعة فتصبح كالشياطين، ومن حزب إبليس اللعين، وتتشبه بأفعالهم، وسيكونون معهم^(٥٠).

وشبه الإخوان حال الإنسان الذي لم ينتفع من دنياه في إصلاح نفسه، بشخص ولد وهو غير تام البنية، ولا كامل الصورة، فهكذا شخص لم ينتفع بكامل نعيم الدنيا، ولم يتمتع ويلتذ بذاتها على التمام، بل سيكون شقياً مُنغص العيش، مبتلى كالزمنى والمفاليج، أي (الذين أُصيبوا بالشلل) والناقصي الخلق، فكذا القياس والحكم في الدار الآخرة^(٥١) لمن استغرق في الحياة الدنيا على طلب الشهوات ونسى الآخرة، بل شكك فيها وثنى عنها بسبب ما ساور نفسه من شكوك وظنون وحيرة، وقع بها جراً ترك وصية ربه، ونصيحة الأنبياء، وترك اتباع العلماء والحكماء فيما دعوا إليه من نعيم الآخرة، وأمرهم بضرورة الزهد في الدنيا، ونهيه عن الغرور بشهواتها، وعاجل حلاوتها^(٥٢).

فما ينال المنكر والمتكبر على الأنبياء والأولياء إلا العذاب الأليم، وهذا مصير من قتلوا الأنبياء بغير الحق، وخانوا الأولياء، وأنكروا على المؤمنين، وأمروا بارتكاب المحارم، واستحلال المآثم، ومن هؤلاء طوائف كثيرة، وأعمالهم متباينة، فمنهم الجابرة، والفراعنة، والنماردة، ومن يجري مجراهم من المتقلبين على الملك والرئاسة ظلاماً وعتواً بغير حق،

فجلسوا مجالس لا يستحقونها، وقاموا بأعمال، وقدموا علوماً تقضي بالتناهي إلى سبل الضلالة والجهالة، وأعانهم على ذلك طالبو أحكام الدنيا واستعجال نعيمها^(٥٣).

فهؤلاء حال موتهم تنزل على نفوسهم كما يرى الإخوان ملائكة شداد غلاظ، وهم كما سموهم روحانيات زحل والمريخ، فتنقل نفوسهم إلى درجة البرزخ المظلم، فتقلب في العذاب ويكتنفها الشقاء، ولا تزال حالها كذلك مادامت السماوات والأرض، جزاء لأعمالها التي اكتسبتها مدة صحبتها للأجسام في أيام الحياة الدنيا^(٥٤).

ودعا إخوان الصفاء على الإنسان أن لا يحرم نفسه من الصعود إلى السماء وسماع النغمات الناتجة من حركة الأفلاك والكواكب المتناسبة ذات المقادير والأبعاد المتناسبة، وما في تلك النغمات من لذة وسرور لأهلها، مثل نغمات أوتار العيدان، فعليه أن تتشوق نفسه للصعود إلى هناك والاستماع لها والنظر إليها كما حصل لهرمس الحكيم أي (إدريس النبي)، وكما حصل لفيناغورس الحكيم^(٥٥) لما صفت نفسه من درن الشهوات الجسمانية، ولطفت بالأفكار الدائمة، والرياضات العددية والهندسية والموسيقية. فمن الضروري إذن العمل على التخلص من بحر الهوى، وأسر الطبيعة، وعبودية الشهوات الجسمانية، وأن يفعل بالأفعال الواردة في كتب الحكماء والأنبياء عليهم السلام للتخلص من الأخلاق الرديئة، والآراء الفاسدة، والجهالات المتركمة، والأفعال السيئة، المانعة للنفس من الصعود إلى هناك بعد الموت^(٥٦).

واستشهد الإخوان في هذا الموضوع بقوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ))^(٥٧).

فالنفوس عندهم تتفاوت في مراتبها بعد مفارقة البدن، إذ تعرج الأنفس المؤمنة العارفة إلى ملكوت السماوات وتظل تسبح هناك إلى يوم القيامة، حتى تعود أجسادها إليها لتحاسب، بينما أنفس الأشرار تبقى بعد موت أجسادها وهي خائفة وجلّة إلى يوم القيامة^(٥٨)، حيث تبقى في عالم الأرض ودون فلك القمر، وتنتهي العودة إلى أجسادها لتتعم بسابق لذاتها، ولكنها لا تستطيع فتهيم معذبة تائهة، وتكون كشياطين توسوس للناس بالشر، كما أن الملائكة تلهم نفوس الأخيار إلى الخير^(٥٩).

وهكذا ركز الإخوان على ضرورة إدراك الإنسان أهمية النفس بوصفها درة ثمينة وما الجسد إلا صدفة، ومثلما يلقي الصدف لاستخراج الدرة، فبالموت يلقي الجسد، والأمر كما يرون ينطبق على الحيوانات أيضاً بعد الذبح، إذ تستأنف نفوسهم أمراً آخر. إذ قالوا: ((وهكذا أيضاً حكم نفوس الحيوانات بعد الذبح يستأنف بها أمر آخر، فلا تقدر يا أخي بأن غرض واضعي النواميس في تحليل ذبح البهائم في الهياكل عند القرابين إنما هو لأكل لحومها حسب، بل غرضهم تخليص نفوسها من دركات جهنم عالم الكون والفساد، ونقلها من حال النقص إلى حال التمام والكمال في الصورة الإنسانية التي هي أتم واكمل صورة تحت فلك القمر، وهذه الصورة هي آخر باب من جهة عالم الكون والفساد))^(٦٠). وقد أفلح وفاز ونجى من خرج من الباب الذي ظاهره من قبله العذاب، ودخل من الباب الذي باطنه فيه الرحمة، وهو ساجد في صورة الملائكة^(٦١).

من خلال ما ذكره الإخوان عن تخليص نفوس الحيوانات بالذبح، وانتقالها إلى التمام والكمال في الصورة الإنسانية أجد أن تلك الفكرة تشير إلى فكرة التناسخ^(٦٢)، وهذا على ما يبدو بحكم تأثرهم بالفكر الأورفي^(٦٣) والفكر الفيثاغوري بعده^(٦٤)، بل والفكر الصابئي على حد ما ذهب إليه أحد الباحثين^(٦٥).

هذه باختصار أبرز الأفكار التي بينها الإخوان حول البرزخ، وبعد عرضها سأنقل بالحديث عن موقفهم من المرحلة اللاحقة للبرزخ وهي البعث والقيامة.

٢ - البعث والقيامة

يُعد موضوع البعث والقيامة من أعقد الموضوعات عند الإخوان، إذ نظروا للموضوع من عدة رؤى، رؤية تنسجم مع رأي العام والخاص من المسلمين، ورؤية تنسجم وفهم الخاصة من أهل العلم والمعرفة، ورؤية تنسجم وتصورات جماعتهم فقط، وأدى تنوع وجهات نظرهم إلى تعدد المعاني وتنوعها لمفهومي البعث والقيامة.

أ- البعث

إنَّ من معاني البعث عند إخوان الصفاء انبعاث النفوس وانتباهاها من نوم الغفلة، ورقدة الجهالة والحياة بروح المعارف. ومنها بعث الأجساد عندما تُرد النفوس التي كانت متعلقة بها، ومنها بعث الأجساد بعد مفارقة النفس للجسد الذي كانت متحدة به، وكونها معه مقارنة، فتجازى على ما عملت، فأما إلى نعيم وسرور أو إلى عذاب^(٦٦). وسأقوم بعرض هذه المعاني تباعاً وستكون بداية العرض مع ما ذكره من أفكار يفهمها الخاص والعام.

بيِّن الإخوان أنه بعد حياة البرزخ يأتي البعث والقيامة والحساب، فأكدوا أن النفوس والأرواح سترد وتبعث الأجساد من القبور الدارسات حيث قيامها من التراب، فتنعش تلك الأجساد وتحيا، ثم تحشر للحساب، إذ الغرض من البعث هو الجزاء والمكافأة^(٦٧)، فأما إلى الجنة أو إلى النار. والجنة والنار كما يرون موجودتان في الحياة الدنيا، وليس وجودهما في المستقبل، وأهل المكاشفة يعرفون تلك الحقيقة، ويرون هذه الأشياء كلها موجودة منذ خلق السماوات والأرض، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وينتظرون كونها في المستقبل وهؤلاء سماهم الإخوان (أهل التقليد)، ووصفهم بقولهم: ((الذين هم من أمر الدين على العمى، وأما أهل البصيرة الذين هم من أمر الدين على بيان ويقين ومعرفة فهم ينتظرون بها انتظار الكشف والبيان، كما رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة المعراج))^(٦٨). واستشهدوا الإخوان بعدة آيات من القرآن الكريم^(٦٩).

وبعد أن أكدوا على البعث الجسدي والروحي نجدهم يقسمون أفهام الناس للبعث على أربع طوائف :

الطائفة الأولى ركزت على بعث الأجساد، وهم الذين لا يرون الإنسان إلا جسداً من لحم ودم وعظم، وطول وعرض وارتفاع. والبعث عندهم لا يتحقق ولا تتصور حقيقة القيامة إلا بإعادة هذه الأجساد برمتها، وتلك الأجرام والأعراض بعينها، فيحشرون ويحاسبون جسدياً. وهؤلاء ينظرون للدنيا على أنها سجن، وأن العبادات جاءت لترويض الشهوات المركوزة في الجبلة والعادات المطبوعة. والتركيز على ما يحل بالإنسان من أوجاع مادية جراء المتطلبات الضرورية للجسد من جوعٍ وعطشٍ وألمٍ ووجعٍ وأسقامٍ^(٧٠).

وهذا الاعتقاد كما يرى الإخوان جيد للنساء والصبيان، والجهال والعوام، ومن لا ينظر في حقائق العلوم ولا يعرفها، فهذا الاعتقاد سيحث هؤلاء على عمل الخير، وترك الشرور، واجتناب المعاصي، وفعل الطاعات، ورد الآفات، وترك الخيانة، والوفاء بالعهود، وصحة المعاملة، وحسن الخلق والنصيحة، فيكون ذلك صلاحاً لهم، ولمن يعاملهم في الحياة الدنيا إلى الممات^(٧١).

الطائفة الثانية وهي فوق الطائفة الأولى من حيث العلوم والمعارف، فيرون ويعتقدون أن مع هذه الأجساد جواهر أشرف منها وأفضل، وأنها ليست أجساماً، بل تسمى أرواحاً أو نفوساً، فهؤلاء يتصورون أمر البعث والقيامة بأنه رد تلك النفوس والأرواح إلى تلك الأجساد بعينها أو أجساد آخر تقوم مقامها، ثم يحشرون ويحاسبون ويجازون على ما فعلوا من خيرٍ أو شرٍ، وهذا الرأي أجود وأقرب للحق، وفي ذلك صلاح لمعتديه ولغيرهم^(٧٢).

وهناك طائفة ثالثة وهم الذين لم يتعلقوا بالأجساد والشهوات المادية وهم أصحاب المحبة الروحانية العقلية الخالصة لله^(٧٣). ومن كان يرى ويعتقد أمر الحياة في هذه الدنيا على هذه الحال فلا يتصور أمر البعث ولا يتحقق أمر القيامة إلا بمفارقة النفس للجسد بعد استقلالها بذاتها وتفردا بجوهرها ومشاهدتها عالمها، ولا يسأل إلا اللحاق بالصالحين من أبناء جنسها من الماضين من عباد الله الصالحين من النبيين والصديقين والشهداء، كما سأل إبراهيم الخليل، ويوسف الصديق باللحوق بالصالحين بعد الموت. و من كانت هذه حاله فلا يتصور البعث والقيامة إلا مفارقة النفس الجسد كما حكي عن رسول الله (ص)) (من مات فقد قامت قيامته)^(٧٤).

وهناك طائفة رابعة أعلى وهي طائفة أصحاب العلم والمعارف والدراية الذين يعتقدون بأن الغرض من كون هذه النفوس والأرواح مع هذه الأجساد في الدنيا مدة ما، لأجل أن تستقيم ذواتها، وتكمل صورتها وتخرج من حد القوة والكمون إلى الفعل والظهور واستكمال الفضائل من خلال معرفة أمور المحسوسات وتخيل رسوم المعقولات، فتخرج بالآداب والرياضات، والنظر في العلوم والطبيعات والإلهيات، وبالاعتبار والتجارب، والتدابير والسياسات؛ لتكون سبباً لانتباه النفوس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة، لتحيا بروح المعارف، ويفتح لها عين البصيرة لتتنظر إلى عالمها الروحاني، وتشاهد ما سموه (بالدار الحيواني)،

ويتبين لها أنها في عالم الغربة، وموضع المحنة والبلوى، بوصفها غريقة في بحر الهبولى، وفي أسر الطبيعة، والانشغال بنيران الهاوية التي أوقدت من حريق الشهوات. فأدركت أن البشر أصبحوا في الدنيا معذبين في صورة المنعمين، ومجبورين في صورة المختارين، ومغرورين في صورة المغبوطين، أحراراً كراماً في صورة عبيد مهانين، وقد سلط عليهم خمسة حكام يسومونهم سوء العذاب وينفذون عليهم أحكامهم رغماً عنهم^(٧٥) ولا حيلة لهم ولا مفر للخروج من أحكامهم أو دفع سلطانهم والخلاص من جبورتهم إلا بالممات، وهم (الفلك الدوار، والطبيعة وأمورها المركوزة في الجبلية، والناموس وأحكامه وحدوده، وأوامره ونواهيها، ووعده ووعيده^(٧٦)، وزجره وتهديده وتوبيخه، والسلطان الجائر المسلط، وشدة الحاجة إلى المواد التي لا قوام للجسد الإنساني إلا بها من مأكولات ومشروبات، ولباس وسكن، ومركب وأثاث، وما لا بد منه في قوام الحياة الدنيا^(٧٧)).

وعلى الرغم من تعدد المعاني التي قدمها الإخوان للبعث فإنهم على كل حال من المؤكدين على البعث، ومن المركزين على بقاء النفوس بعد مفارقتها للأجساد، بل ومن أشد الناقدين لمن أنكر بقاء النفس بعد مفارقة البدن، فالناكرين لذلك لا يعرفون النفس حق معرفتها، وما اختص بها من أفعال وأعمال بعد مفارقة الجسد، إذ تفعل أشياء وأعمالاً لا تدرك بها غوامض العلوم، وتنام المنافع لا تقدر الآلات الجسمانية عليها، ولا الأمزجة الطبيعية أن تصلها بمجرد لولا ما اتحدت بها من القوى النفسانية والتأبيدات الإلهية^(٧٨).

وأنهم جمعوا بين البعثين الجسدي من جانب، والروحي من جانب آخر. أكدوا البعث الجسدي مسaire للعامة، والروحي مراعاة للخاصة، وأضافوا أيضاً أن الله سيبعث أرواح المؤمنين ويحيي نفوسهم ليجازيهم على حسناتهم ويثيبهم على أعمالهم، أما الكفار سنبعث أجسادهم ليحاسبهم على تكذيبهم ويجازيهم بسوء أفعالهم^(٧٩). وعللوا فكرتهم حول بعث جسد الكافر بأن من لا يوقن ببعث الأجساد ولا يتصوره فليس من الحكمة أن يخاطب ببعث النفوس؛ لأن بعث الأجساد يمكن تصوره، ويقرب من فهمه وعلمه. وأما من لا يقر به ويتصوره فإنه لبعث النفوس أنكر وبه أجهل، وعن تصوره أبعد، فبعث النفوس من علم الخواص ولا يتصوره إلا من جمع برياضته بين العلوم الإلهية والمعارف الربانية^(٨٠).

والإخوان على كل حال كانوا ميالين ومفضلين للبعث الروحي أكثر من البعث الجسدي ومصدق ذلك قولهم: ((فلا تكن يا أخي ممن ينتظر بعث الأجساد ويؤمل بعث النفوس، ويؤمنون حياتها ووصولها إلى عالمها الروحاني، ودار قرارها الحيواني، مخلداً في النعيم أبد الآبدين، ودهر الداهرين مع النبيين والصدّيقين والشهداء حسن أولئك رقيقاً))^(٨١). وهذا سيتضح أكثر وهم في صدد الحديث عن القيامة.

ب- القيامة: - قسم إخوان الصفاء القيامة على قسمين: قيامة صغرى، وقيامة كبرى، وأطلقوا أيضاً مصطلح القيامة على ظهور قائمهم أو إمامهم المنتظر^(٨٢). وقبل الولوج إلى عرض الأفكار التي طرحوها حول هذه الموضوعات لابد من التنوية إلى أن الإخوان وإن كانوا يعتمدون على آيات من القرآن الكريم، إلا أنهم أولوا وبالغوا في التأويل، حتى أنهم أخذوا يلوون عنق النص لينسجم وفلسفتهم الخاصة وما يُريدون قوله، فأولوا الآيات الواردة في وصف الجنة والنار والأعراف وغيرها، وهذا ما سنوضحه بين جنبات البحث تارة في المتن وأخرى في الهامش، فتحول موضوع القيامة من موضوع ديني إلى موضوع فلسفي بحث نتج عنه تنوع آراء الباحثين الذين مروا بهذا الموضوع عندهم^(٨٣).

وحتى لا أخرج عن الموضوع بعيداً فأقول أن معنى القيامة مشتق من القيام، وأن ما ورد من حديث عن الرسول حول من مات قامت قيامته إنما هو إشارة لقيامته النفس لا الجسد، وهذا ما عنوه بالقيامة الصغرى. وأكدوا القيامة خاصة للنفس وليس للجسد؛ لأن الجسد لا يقوم عند الموت، بل يقع وقوعاً لا يقوم بعده، إلى أن ترد إليه النفس ثانية، لذا على الإنسان الاستعداد لهذا اليوم من خلال الاستفادة من الحياة التي عاشها في الحياة الدنيا بمعية الجسد، ذلك الهيكل المبني والذي يُعاد أخذه من الإنسان بعد الموت، ومفارقة النفس له قيامة. فعلى الإنسان أن يستعد من خلال توسط هذا الهيكل الجسماني بأن ينال هيكلاً روحانياً، وبوساطة الحواس الجسدية حواس عقلية، وعندها سترجع نفسه من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح بريح بلا خسران^(٨٤).

فالنفس حسب ما يرون حال مفارقتها الجسد لا يبقى معها ويصحبها من آثار هذا الجسد إلا ما استفادته من معارف ربانية، وأخلاق جميلة ملكية، وآراء صحيحة، وأعمال زكية مرضية، فهذه الأشياء في النفس تكون مصورة في ذاتها كصور روحانية نيرة بهية،

حتى أنها كلما رأت تلك الصور فرحت وسُرت في ذاتها والتذنت فيكون ثوابها ونعيمها بما أسلفت في الأيام الخالية. أما النفوس التي كانت تتسم بفساد الآراء، وكانت أخلاقها رديئة سيئة بشعة، وأعمالها موبقة، وجهالاتها متراكمة، فإنها ستبقى عمياء عن رؤية الحقائق، فتتصور هذه الأشياء في ذاتها كصور تتصف بالقبح والسماجة، حتى أنها كلما لاحظت ذاتها ونظرت إلى جوهرها، رأت ما يسوؤها حتى أنها تريد الفرار منه، ولكن أين المفر^(٨٥).

وهنا أكد الإخوان أن اللذات والآلام التي تلحق بالنفوس بعد الموت بأنها روحية لامادية، وسنجد صدى تلك الفكرة يتردد في حديثهم عن القيامة الكبرى.

أما عن القيامة الكبرى والتي نظروا لها من زاوية فلسفية خاصة بهم، فأكدوا أنها تعني مفارقة النفس الكلية لدوران الفلك^(٨٦)، حيث خراب العالم الأرضي، والمركز السفلي، فيسكن الفلك عن الدوران، والكواكب عن المسير، والأركان عن الأخلاط والامتزاج، فيبلى النبات، والحيوان، والمعادن، وتخلع النفس الكلية للصور والنقوش والأشكال حتى يصبح جسم العالم فارغاً كما كان في البداية، وعندها تعرض عنه النفس وتقبل نحو عالمها، وتلحق بعلتها وتصير عندها وتتحد بها، وتقبل عليها كإقبال التلميذ على معلمه وأستاذه الذي يتعلم منه الحكمة والأخذ لها عنه، بعد أن كان مشغولاً بصيوته إذ كان منهمكاً في تناول لذاته، والإقبال على شهواته، ولكنه عندما كبر واعتبر وتذكر، أقبل على محبة معلمه ومفيده فصار مثله. فهكذا حال النفس الكلية عند لحوقها بالعقل والإقبال عليه دفعة واحدة فتبطل عند ذلك الحركات الدنيوية^(٨٧).

وفي القيامة الكبرى ستعود الأنفس الجزئية إلى النفس الكلية بأجمعها فتصير في عالمها الروحاني ومحلها النوراني، وحالها الأزلي، ووقتها الدهري، والأبدي والسرمدى، أو ما وصفوه بالذي لا نهاية لطوله والذي كانت فيه قبل تعلقها بالجسم، ولكن بعد مضي الدهور والأزمنة الطوال والأكوار والأدوار والأعصار^(٨٨) ((كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ))^(٨٩).

أما عن الحساب في يوم القيامة فقد ربطوه هو الآخر بالقيامة الكبرى من جانب، وبالنفوس الكلية من جانبٍ آخر. فالنفس الكلية ستبرز يوم القيامة وتتجلى بأمر الله تعالى كما تتجلى الشمس للعالم في أيام الدنيا، فكما أن حياة العالم وسعادتهم وهلاكهم وعذابهم في

الدنيا بالشمس لما تملك من إمكانية على حرق الأجسام الحية، وإنشاف الدم منها، وفي الوقت نفسه أن فيها صلاحاً للأشياء، فكذا حال النفس الكلية يوم القيامة إذ ستولى حساب الأنفس الجزئية، وبها سيكون النعيم لأهل الجنان، والعذاب لأهل النيران^(٩٠). وقدموا تشبيهاً من الواقع لتقريب الصورة عن كيفية تولى النفس الكلية بإذن الله بالمجازاة على الأعمال التي عملتها النفس الإنسانية في الحياة الدنيا جاء فيه: كما أن الناس يحتاجون في بيعهم وشرائهم وأخذهم وعطائهم وما يتصرفون فيه من أمور معيشة الدنيا إلى الاعتماد على أدوات القياس من ميزان وكيل، وحساب وكتاب لجرد الريح في التجارة والخسارة فيها على مر الشهور، ومثلما هم محتاجون أيضاً في كل مدينة إلى قضاة وحكام يرجعون إليهم فيما يختلفون فيه، وتثبيت الحقوق والحكم بها لأهلها بعد إثباتها من خلال حضور العدول والشهود، والكتب لإصدار الحكم على من يستحقه، وأخذ ما اغتصبه، واستخراج من ظلمه بالسجن والهوان والعذاب^(٩١).

من هنا وكما أن من يتولى الحكم والقضاء يعتمد في حكمه على دين واحد أو شريعة واحدة، جاء بها رسول واحد من عند الله تعالى، و أن من سنن القضاة في الدنيا البروز في كل سبعة أيام يوماً واحداً لفصل القضاء بين الناس، وتقعد أمورهم، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه، ورد الحق ممن اغتصبه، ورد الحق لمستحقه، وهم يشيرون بلا شك لطريقة القضاة في وقتهم. فهكذا الأمر في يوم القيامة حيث يجمع الله العالم، ويحضر الشهود، وتتصب الموازين فتبرز النفوس بأعمالها لتوزن بالموازين عند فصل القضاء ووجوب الجزاء. وتبرز النفس الكلية في الألف السابع إذ ظهورها يكون في كل سبعة آلاف سنة لمحاسبة النفوس الجزئية^(٩٢).

واستشهدوا بقوله تعالى: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ))^(٩٣) وقوله جلّ وعلا: ((وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))^(٩٤).

فالقيامة الكبرى كما يرون تتمثل في سكون النفس الكلية عن الحركة، وسكونها عن استعمال الطبيعة، وحصول الغرض الأقصى من إدارة الأفلاك، وتسيير الكواكب، ومجيئ الرسل والأنبياء بالوحي والأنبياء فيصير العالم خيراً كله، ويزول عنه العجز والنقص والشر

ويمحق الشر وأهله، ويعود إلى ما بدأ منه، فيصير لاحقاً به، فنتم الحكمة وتكمل الخلقه ويرتفع عالم الكون والفساد، فيعتق أهل النار وتبطل جهنم الدنيا، فيصير العالم خيراً وسعادة. وهنا تبلغ النفس الكلية درجة العقل فتعود إلى استعمال ذاتها الروحانية في عبادة باريها سبحانه حتى تقوم بما يجب عليها من الشكر له؛ لأنه أوصلها إلى درجة الكمال. وأكدوا أن هذه هي حقيقة الجنة، ومعرفة القيامة عندهم بالبرهان من غير رمز ولا إشارة^(٩٥).

ووفقاً لما ذكروه عن عودة النفس الكلية للعقل الكلي فعالم الجنة عندهم يتمثل ببلوغ النفس الجزئية إلى سعادة النفس الكلية، واستئناف العمل الروحاني، ومفارقة التكليف والعتق من عالم الأجساد، فيزول دور الستر والانتقال إلى دور الكشف والخلود في الجنان، ومجاورة الرحمن، والترقي في الدرجات، والبلوغ إلى أتم السعادات^(٩٦).

والجنة كما يرون هي عالم الأرواح وسعة السماوات، وأهل الجنة حسب زعمهم هي النفوس الملكية التي في عالم الأفلاك، وسعة السماوات، في روح وريحان، البريئة من الأوجاع والآلام^(٩٧)، فهم أحياء لا يموتون، وشباب لا يهرمون، وأغنياء لا يفقرن، وجيران لا يتحاسدون، وإخوان على سرر متقابلين في نعيمٍ ولذةٍ وخلودٍ وآمنٍ، لا يخافون، ولا يحزنون، بل هم في روح وريحان ورضوان^(٩٨).

وإن حقيقة جهنم بحسب تصورهم هي عالم الكون والفساد الذي هو ما دون فلك القمر، أي حياة الإنسان على الأرض، وأهل جهنم وفقاً لتصورهم يمثلون النفوس المتعلقة بأجساد الحيوانات، والتي تنال الآلام والأوجاع دون سائر الموجودات التي في العالم. فوجود الأنفس بالأجساد ذات الطول والعرض والعمق تحت فلك القمر هو جهنم لها لقوله تعالى: ((أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ))^(٩٩). بعد أن أهبطت بسبب الجناية التي ذكرت في قصة آدم(ع)، فكان الحكم عليها: ((قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ))^(١٠٠) ففي الأرض يحييون، وفيها يموتون، ومنها يخرجون عند النفخ في الصور^(١٠١)، وهذا هو المعنى الوارد في قوله تعالى: ((قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ))^(١٠٢).

وهكذا فجهنم تعني هبوط النفس من الجنة أي من عالم الأفلاك إلى عالم الكون والفساد ما تحت فلك القمر، لتسكن في عمق الأجساد والغرق في بحر الهبولى القابلة للكون

والفساد الغائصة في هياكل هذه المتولدات والانقطاع فيها، ودركات جنهم أو طبقاتها السبع تعني عندهم مراتب الأجسام السبعة التي دون فلك القمر، فأربعة منها الأمهات المستحيلات والتي هي الأركان الأربعة (النار، والهواء، والماء، والتراب)، وثلاثة هي المولدات الكائنات الفاسدات وهي (المعادن، والنبات، والحيوان)^(١٠٣).

ويرون أن أبواب جهنم السبعة الوارد ذكرها في قوله جلّ وعلا: ((وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ))^(١٠٤)، هي إشارة إلى الكواكب السبعة السيارة التي تؤثر على الموجودات في عالم الكون الفسادي^(١٠٥). والملائكة التسعة عشر الموكلين بسقر لقوله تعالى: ((عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ))^(١٠٦). فالتسعة عشر عندهم إشارة إلى أن دلائل الكواكب السبعة لا تظهر في عالم الكون والفساد إلا بمسيرها في البروج الاثني عشر (الجدى، الدلو، الحوت، الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبله، الميزان، العقرب، العذراء، القوس) وهكذا تكون جملة الكواكب السبعة بمعية الأفلاك تسعة عشر، وهي التي يكون بها من أمور تقلب أحوال الدنيا، وما تقتضيه موجبات أحكامها في مواليد الأجساد، وما يدل عليها مما يصيبهم من الآلام والأوجاع، والأسقام، والأمراض، والأحزان، والجوع، والعطش، والحر والبرد، علاوة على ما يصيب البشر من عداوات بين الأقران، وحسد الجيران، وجور السلطان، ووساوس الشيطان، إضافة إلى نكبات الزمان، والمصائب والأحزان وخوف الموت، ووعيد ما بعد الموت وما شابه ذلك من المتاعب التي تلحق النفوس مادامت مرهونة بالأجساد^(١٠٧).

أما أهل الأعراف والذين ورد ذكرهم بقوله تعالى: ((وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ))^(١٠٨). فحسب تصورهم أنهم أهل المعارف الذين زهدوا في عالم الكون والفساد، وهم الذين ورد في وصفهم ((وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))، فهم المستعيزون من أصحاب النار أي أهل الدنيا^(١٠٩)، وسألوا الله تعالى الخلاص والنجاة مما فيها، وإلى تلك المرتبة سأل إبراهيم (ع) ويوسف الصديق ربهما أن يلحقا بأهلها، إذ الدنيا سجن للمؤمن، وجنة للكافر. أنهم الذين لم تلهيهم لا تجارة ولا بيع عن ذكر الله، بل لم ينعموا بالنوم والراحة، أنهم أولياء الله الذين يتمنون الموت لما قد تبين

لهم ما بعد الموت من الوجود المحض، والبقاء الدائم، والروح والريحان، والأسقام التي كلها جهنم ونيران^(١١٠).

فصفوة القول أن الإخوان عملوا على منح المسائل الدينية مسحة عقلية فأولوا الجنة والنار، والمعاد، والبعث والقيامة تأويلاً عقلياً، وأنهم عدوا ما ورد في الكتب الدينية المقدسة من أوصاف حسية للجنة والنار، إنما الغرض منه هو إفهام العامة، أما هم فقد أنكروا هكذا اعتقادات، ويرون علاوة على ذلك أن النجاة في الآخرة لا تحصل عن طريق العبادة فحسب، بل عن طريق السلوك المحمود ونيل المعارف^(١١١).

وبذلك عند إمعان النظر بما قدمه الإخوان من تأويلات يتضح أنهم يرون أن الموت مفارقة النفس للجسد وتلك هي القيامة الصغرى، وبعدها حياة برزخ وفيها ثواب وعقاب روحانيين، وبعدها يأتي البعث والقيامة الكبرى حيث تعود النفوس الجزئية للكلية لغرض الجزاء على الأعمال، ومنها يتقرر مصير الإنسان أما إلى نعيم أو إلى جحيم روحيين، وأنهم عدوا الحياة الدنيا وارتباط النفس بالجسد أحد مصاديق جهنم في العالم الأرضي عالم الكون والفساد. هذا باختصار مجمل الأفكار التي ذكرها الإخوان حول الموت، والمراحل التي تمر بها النفس الإنسانية وبعد ذكرها فما أمامي إلا الحديث عن موقفهم من حكمة الموت.

رابعاً :- حكمة الموت. أشار إخوان الصفاء بداية إلى السبب الرئيس والمحرك الأساس الذي دفعهم للحديث عن حكمة الموت، إذ أكدوا أنه في الوقت الذي تكره فيه كل الحيوانات الموت وتحب الحياة، تجد الكثير من العقلاء يقولون بأن الموت حق، وأن في الموت حكمة، وعندما يسألون عن تلك الحكمة التي لا يعرفونها إنما يحتجون بقوله تعالى: ((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ))^(١١٢)، وهم بالأحرى لا يدرون معنى قوله تعالى ولا المراد في ذلك، بل تجدهم وعلى الرغم من إقرارهم هذا إنما يحبون الحياة ويكرهون الموت، بل تراهم في بعض الأحيان يذمون الحياة عند تنغيص العيش ويتمنون الموت عند الشدائد. فضلاً عن ذلك فإن العاقل إذا فكر بمراحل حياته منذ خلقه ومراحل نموه في الرحم والخروج للحياة الدنيا وهو مكتمل الخلقة ثم وصوله إلى مرحلة الصبا وبعدها الشباب ثم الكهولة وضعف القوى، ثم الموت وما يلحق الجسد من تغيرات (انتفاخ وتنتن

وفساد) إلى أن يبلى ويضمحل في التراب، فإذا كان لا يعرف ما الحكمة من هذه النهاية فإنه سيبقى في حيرة وابتعاد عن الصواب^(١١٣).

أما عن موقفهم من موضوع حكمة الموت فسأعرضه بنقاط وتسميات عدة هي :

١- الموت ولادة للنفس وانتقالها إلى عالم واسع

وملخص هذه الحكمة أن الإنسان العاقل عندما يتأمل مراحل حياته وكيف كانت قبل الولادة حيث عالم الرحم الضيق المظلم، ثم مرحلة الخروج إلى عالم واسع فسيح فيرى إشراق أنواره وإدراك طيب نسيمه، فعندما يتقدم بالعمر سيدرك لذة العيش والتنعيم بنعيمها فإنه سيجزم عندها بأن الحكمة والصواب تمثلت في خروجه من عالم الضيق والظلمة (الرحم) إلى العالم الواسع (الدنيا)، وهكذا فعلى الإنسان أن يعلم بأن حال النفس مع الجسد كحال الجنين في الرحم ، وأن وضعها بعد الموت كوضع الطفل بعد الولادة. فموت الجسد إذن هو ولادة للنفس، فكما أن الولادة هي خروج من الرحم فكذلك ولادة النفس فإنها ليست شيء إلا مفارقتها للجسد^(١١٤).

٢- الغاية من الموت الدخول لحياة أبدية خالدة

أكد الإخوان أن لكل شيء كونا ونشوءاً وابتداءً ونهايةً إليها يرتقي، ولهذا الارتقاء وتلك النهاية غاية تمثل الثمرة التي تجنى في نهاية الأمر. فمسقط النطفة كون قد ابتداءً، وغاية الولادة تمثل المنتهى. والولادة كون قد ابتداءً، والموت غايته التي إليها ينتهي. وكما أن ثمرة مسقط النطفة لا تكون إلا بعد الولادة حيث أن الطفل لا يتمتع بالحياة إلا بعد الولادة وتتمام صورته، فهكذا حكم النفس التي اكتملت صورتها وتمت فضائلها حال كونها مع الجسد فإنها لا تتمتع بالحياة الأبدية والحياة الأخروية مالم تتعرض للموت ومفارقة الجسد. وعليه فالموت سبب لحياة الأبد، والحياة الدنيا سبب للموت في الحقيقة، فالإنسان ما لم يدخل في العالم الدنيوي إلا وقدر عليه الموت في نهاية المطاف، فحياته في الدنيا سبباً لموته، وموته سبباً لحياته الباقية أبد الأبد^(١١٥).

وضرب الإخوان مثلاً آخر حول علاقة النفس بالجسد وضرورة مفارقة النفس له عند اكتمالها جاء فيه تشبيه النفس بالصبي الذي دخل المكتب ليتعلم ويتأدب ويرتاض. فإنه بعد حصوله على مبتغاه ما أمامه إلا الخروج من المكتب، والانتفاع بما حصله من معرفة في هذا المكان، وهكذا الحال مع النفس فأنها إذا أحكمت ما يراد منها أثناء وجودها مع الجسد فما عليها إلا المفارقة. وكما أن الصبي إذا حصل ما يحتاج إليه من تعلم القراءة والكتابة سيستغني عن حمل اللوح والدواة والمداد والقلم وسواده كونه لم يعد بحاجة لهم؛ لأن ما يحتاجه قد أصبح محفوظاً في نفسه من قرآن وأخبار وأشعار ونحو ولغة. الخ من الموضوعات التي يحتاجها الصبيان في المكتب. فالأمر عينه مع النفس عندما تحكم أمر المحسوسات بطريق الحواس، والمعقولات بطريق الفكر والروية، ومعرفة حقائق أمور هذا العالم من الكون والفساد، ثم ارتفعت بطريق الرياضيات واستدلّت بالبراهين على معرفة الأمور الغائبة عن الحواس، وارتاضت فيها وعرفت حق المعرفة، ثم استبان لها أمر عالمها ومبدئها، ومعادها فعابنت بعين البصيرة أحوال أبناء جنسها من السابقين الذين مضوا على سنن الهدى فارتقوا إلى ملكوت السماء وفسحة الأفلاك وسعتها، فأنها سنشதாக عند ذلك إلى الصعود هناك واللاحق بأبناء جنسها، وبما أن ذلك لا يحصل مادامت بمعية الجسد الثقيل فلا بد لها من تركه ومفارقتة، وهذا لا يتم إلا بالموت، وعليه أصبح الموت ضرورياً، وعدم الموت مانع لها من الوصول إلى حيث تبتغي. وبناءً على ما ذكر فالموت حكمة ونعمة ورحمة وفضل ورضوان من الله عز وجلّ للنفوس الخيرة ذات البصيرة^(١١٦).

٣- الموت معبر نحو نيل النفوس للنعيم المنتظر

يرى فلاسفتنا قيد البحث أن الجسد كالسفينة، والنفس كالملاح، والأعمال الصالحة كالبيضاة والأمتعة للتاجر، والدنيا كالبحر، وأيام الحياة كالمعبر، والموت كالساحل المتوجه نحوه. أما الدار الآخرة كمدينة التاجر، والجنة كالريح الناتج عن تلك التجارة، والله تعالى بالملك المجازي. فكما أن التاجر لا ينال الريح مالم تعبر بضاعته وأمتعته، وكما لا يمكنه الدخول للمدينة لغرض التجارة مالم يغادر السفينة التي حملت بضاعته، كذلك حكم النفس مع الجسد فالنفس لا تتال ثوابها على ما فعلته في الحياة الدنيا من أعمال صالحة وسيرة عادلة، وأخلاق جميلة، واعتقادات للآراء الصحيحة، والمعرفة الصحيحة التي أحكمتها، وبلغتها آخر العمر، ما لم تفارق الجسد. فعدم الموت يعني الحيلولة دون إمكانية صعودها

إلى ملكوت السماء، والدخول في زمرة الملائكة، والوصول إلى الجنة، ولقاء الله تعالى، ونعيم الآخرة. وكنتيجة لما تم ذكره فالموت حكمة ورحمة ونعمة إذ لا وصول لنا إلى ربنا إلا بعد خروجنا من هذا الجسد أو الهيكل كما سماه الإخوان^(١١٧).

٤- الموت يعني التحرر من العائق الذي كان يحول دون صعود النفس إلى عالم الملكوت

يرى الإخوان أن الدنيا بمثابة ميدان سباق، والأجساد كالخيل العتاق، والنفوس السبابة للخيرات بالفرسان، والله تعالى هو الملك المجازي لمن فاز بهذا السباق. فكما لا يحق للفارس إذا بلغ باب الملك أن يبقى على فرسه إذ يمنعه ذلك من الدخول إلى حضرة الملك، وعندها تفوته الجائزة من الخلع والكرامة، فالأمر عينه مع نفوس السابقين في الخيرات والأعمال الصالحة التي قضوا أيام حياتهم في الدنيا وهم يتسابقون إليها وهم الذين مدحهم البارئ تعالى بقوله: ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ))^(١١٨).

وأكدوا أن الجسد الثقيل المتغير الفاسد لا يليق بالصعود إلى ملكوت السماء، ذلك المكان العالي الشريف، فهو غير مسموح له، بينما النفس هي وحدها من يستطيع الصعود إلى هناك لغرض الجزاء بما عملت من خير، فالموت لها -إذن- حكمة ورحمة ونعمة^(١١٩).

الموت كما يرون كالحصاد للزرع حيث جني المحصول وجمع الثمار اليانعة بعد زرعه ومروره بمراحلٍ مختلفةٍ. فأيام الدنيا كمزرعة، وأرحام النساء كالحرث وفقاً لوصف البارئ لها بقوله: ((نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ))^(١٢٠). فالنطفة كالبذرة، والولادة كالنبت، وأيام الشباب كالنشوء وأيام الكهولة كالنضج، وأيام الشيخوخة كاليبس والجفاف. والموت كالصرام، والصراط والآخرة كالبيدر، وكما يجمع البيدر الغلات من كل جنس فيدْرُسُ ويُنقى ويُرمى بالقشور والورق والتبن والحب والتمر فيجعل علفاً للدواب، وحطباً للنيران، فكذلك تجتمع في الآخرة أمم الأولين والآخرين من كل دين وتتكشف الأسرار ((لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))^(١٢١) ((وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))^(١٢٢)، وهذا الثواب سيناله الصالحون بعد الموت وعليه فالموت حسب شعار الإخوان الثلاثي

(حكمة ورحمة ونعمة) من الله على أوليائه؛ ولهذا يتمنى الأولياء الموت لعلمهم أنهم إلى ربهم يرجعون^(١٢٣).

وبيّن الإخوان أن الله تعالى قد عاتب الذين ظنوا أنهم أولياء وهم ليسوا كذلك إذ ورد في قوله جلّ وعلا: ((قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))^(١٢٤).

٥- الموت طريق اللحاق بالصالحين

في واحدة من التشبيهات التي ذكرها إخوان الصفاء حول النفس والجسد وهم بصدد الحديث عن الموت أنهم شبهوا النفوس الإنسانية بأصحاب الصنائع، والأجساد بالدكاكين، وأعضاء الجسد بالأدوات. وهؤلاء الصناع قد اجتهدوا في صنائعهم وتحملوا مشقة العمل لكسب المال وطلب الغنى. وبعد الغنى ومن باب طلب الراحة والاستمتاع بما نالوه فما عليهم إلا بترك دكاكينهم والعمل وما يتطلبه من استخدام الأدوات. فكذلك الحال مع النفوس التي أحكمت ما يُراد منها عندما كانت مع الجسد، حيث تزودت للحياة الآخرة، فما عليها إلا الاستغناء عن الجسد والاستقلال بذاتها والابتعاد عنه؛ كونه عائق لها وحائل عن صعودها ملكوت السماء، والدخول في زمرة الملائكة، والسيحان في عالم الأفلاك، والسريان في فسحة فضاء السماء والتتسم من الروح والريحان، وبناء على ذلك فالموت للعباد الصالحين حكمة ونعمة^(١٢٥).

فالصالحون يتمنون الموت وأبرز مثال على ذلك إبراهيم خليل الرحمن (ع)، ويوسف الصديق (ع) عند تمنيهما للموت لغرض اللحاق بالصالحين، وإلى ذلك أشار البارئ بقوله عن حال إبراهيم: ((الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ))^(١٢٦). وعن حال يوسف قال تعالى: ((رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ))^(١٢٧). فيوسف تمنى الموت مسلماً لعلمه أن اللحاق بالصالحين لا يتم إلا به،

والموت نعمة إذ وراءه وراثته الجنة، وتلك الكرامة خاصة للنفس لا للجسد، فالجسد يبلى بالتراب، والذي يلحق بالصالحين هي النفس (١٢٨).

ومن المسائل المهمة التي ذكرها الإخوان وهم في صدد الحديث عن اللحاق بالصالحين أنهم ركزوا على فكرة ضرورة القبول بالموت من باب الرضا بالقضاء والقدر (١٢٩)، ومن أجل الأهداف النبيلة، وقد أسهبوا بهذا الموضوع كثيراً، وقدموا شواهد لشخصيات تاريخية كثيرة من جانب ومنتوعة من جانب آخر، سأذكر بعضها على سبيل المثال لا التحديد والحصر.

رضا هابيل بالقضاء المقدر له لما أخبره أخيه قابيل سأقتلك، فكان رده كما ورد في سورة المائدة: ((لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)) (١٣٠).

ومنها رضا نفوس السحرة بإتلاف أجسادهم من قبل فرعون قتلاً وصلباً لما آمنوا برب موسى بعد أن عجز سحرهم أمام معجزة عصا موسى، إذ قال لهم فرعون آمنتم قبل أن أذن لكم فكان جوابهم: ((قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِمَّا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)) (١٣١)، فصلبهم كلهم ولم يهابوه، وسمحت نفوسهم بتلف أجسادهم، لما علمت أن في ذلك حياة وفوز لهم، ونجاة ونصرة للدين وصلاح الإخوان، وطاعة لموسى، ورضا للرب (١٣٢).

ومن الأمثلة رضا الذين عبدوا العجل من قوم موسى (ع) بالحكم الذي صدر بحقهم جراء ذلك إذ أمرهم موسى بأن يردوا المظالم، ويكتبوا الوصايا، ويلبسون الأكفان ليقتلوا بيد من لم يعبدوا العجل وقبلوا بذلك؛ لعلمهم أن في ذلك صلاحاً لنفوسهم، ونصرة للدين وطاعة لنبيهم ورضا لرب موسى (١٣٣).

ومن الشواهد التي ذكروا ما حل بعيسى بن مريم (ع) من متاعب و محن ومشاق من قبل قومه، وكيف تحمل الآلام والصبر على ما أصابه وهو راضٍ بما قدر له (١٣٤).

ومنها تحمل أصحاب الرسول (ص) للموت من أجل رضا الله تعالى ورسوله، وأبرز مثال الأنصار الثلاثة الذين افتدوا الرسول بواقعة أُحد إذ ضحوا بأنفسهم وجعلوا من أجسادهم درعاً لاستقبال سهام رماة المشركين، ففعلوا ذلك للحفاظ على بقاء رسول الله (ص) ونصرة للدين، وصلاًحاً لإخوانهم، وطلباً لمرضاة الله، ورغبة في نيل الجنة التي وعدهم بها رسول الله (١٣٥).

ومنها رضا عثمان بن عفان (رض) بالقضاء والقدر لما دخلوا عليه ليقنطروه، ولما قام عبيده وسلوا سيوفهم وأخبروه بأنهم سيقتلون دونه، فإنه رجع وكره وذكر قول أنس لما قال رسول الله افتح له الباب وبشره بأنه ولي هذه الأمة بعد عمر، ووعدته ببلوى تصيبه بهراقة دمه (١٣٦)، فقال لعبيده من رد سيفه إلى غمده فهو حرّ لوجه الله تعالى (١٣٧)، وقعد في مجلسه وأخذ المصحف في حجره فقرأ (١٣٨) قوله تعالى: ((فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) (١٣٩).

ومن الشواهد التي قدموها ما حل بأهل بيت النبي محمد (ص) في يوم كربلاء عندما لم يرتضوا أن يتولوا على حكم يزيد وزياد، فصبروا على العطش والطعن والضرب حتى فارقت نفوسهم أجسادهم، ورفعت إلى ملكوت السماء، فلقوا آباءهم الطاهرين محمد وعلي، والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم في ساعة العسرة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. إذ علموا أن النعيم والخلود في الآخرة وأن النجاة في الابتعاد عن غرور الدنيا، وأن نفوسهم تبقى بعد مفارقة أجسادهم فتعجلوا إهلاك أجسادهم وتسليمها للقتل والضرب والطعن، وفراق لذيق العيش في الدنيا، فتسارعوا في الخيرات وهم يدعون ربهم رغبة ورهبة وكانوا من خشيته مشفقين (١٤٠).

٦- الموت خير وسيلة للتحرر من مواطن الجبر الخمسة

في نهاية حديث الإخوان عن حكمة الموت أشاروا لسعادة يقظة النفس الإنسانية حال إفلاتها ممن سموهم بالحكام الخمسة، أو كما سماهم أحد الباحثين بالطغاة الخمس والرجوع إلى الله تعالى (١٤١).

والحكام الخمسة هم الفلك الدوار، والطبيعة وأمورها المركوزة بالجبلية، والناموس وأحكامه وحدوده وأوامره ونواهيه ووعدته ووعيده وزجره ونهيه وتوبيخه، والسلطان الجائر،

وشدة الحاجة إلى المواد التي لا قوام للجسد إلا بها من (مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومركب وأثاث وما لا بد منه في قوام الحياة الدنيا) (١٤٢).

أما عن تفصيل كل موطن فسأذكره تباعاً على شكل نقاط هي :

أ- الفلك الدوار:- بيّن الإخوان أن الإنسان عند موته سيتخلص من آثار موجبات أحكام حركة الكواكب في الفلك الدوار الذي حبس فيه فيتحرر مما ينتج عن حركة تلك الكواكب المستمرة ليلاً ونهاراً، إذ يتخلص من ظلمة الليل، وحر نهار الصيف وسمائمه، ومن برد الشتاء، ومن الرياح العواصف والبرق والرعد، والأمطار والزوابع والصواعق، والجذب والغلاء، والموتان، والبلاء، والفتن والحروب، والهموم والأحزان (١٤٣).

ب- الطبيعة وأمورها المركوزة في الجبلة:- أن الموت سيحرر الإنسان من احتياجاته الضرورية الغريزية إن جاز التعبير، فلا يحتاج للآلام الناتجة عن تلك الاحتياجات من حرارة الجوع، ولهب العطش، ونار الشبق، وحريق الشهوات، والآلام والأمراض والأسقام، وكثرة الحاجات، حتى صار شغله الشاغل ليله ونهاره وهو يلجأ إلى لطائف الحيل لسد احتياجات جسده جراً للمنفعة، ودفعاً للمضرة، فأصبحت نفسه في جهدٍ وبلاءٍ، وكد وعناء، وبؤس وشقاء (١٤٤).

ج- الناموس وأحكامه:- الذي يموت سينجو بالخلاص من أحكام وحدود وأوامر ونواهي الناموس ووعده ووعيده، وتهديده وتوبيخه. فالإنسان مجبر على اتباعه ما دام حياً، والدليل على ذلك أنه إذا خرج عن أحكامه فسيقام عليه الحد، وضرب الأعناق. وإن فرّ منه ومن أحكامه فإنه لم يجد لذة للعيش ولا صلاح في وجوده. إن دخل تحت أحكامه فعليه تحمل الجهد والبلوى في إقامة حدوده، إذ عليه تحمل الآلام كآلم الجوع عند الصيام، وتعب الأبدان عند إقامة الصلاة ومقاساة برد الماء عند الطهارات، ومجاهدة شح النفوس عند إخراج الزكاة، علاوة على الصدقات الواجبة، وعليه تحمل مشاق السفر عند الذهاب للحج والجهاد، ومقاساة الآلام الناتجة عن ترك اللذات والشهوات المحرمات، فالإنسان ملزم بحدود الناموس، وإذ لم يأنتم ولم ينته فما أمامه إلا تطبيق الحدود والحكام بحسب الجنايات التي ارتكبها (١٤٥).

د- السلطان الجائر:- في الموت خلاص من السلطان الجائر الذي يملك رقاب الناس بالقهر والغلبة، واستعبادهم قهراً وجبراً، والتحكم بهم كيف يُريد، فيرفع ويكرم من أراد ممن خدمه وطاعه، ويتصرف بين يديه ويمتثل لأمره ونهيه. ويضع ويبعد من خانة وغشه، فيعذبه ويقتله. فمن هذه حاله من الناس في حيرة من أمره، فإن خرج من مملكته وفر من سلطانه فعيشه سيكون نكداً؛ إذ لا غنى للإنسان عن لذة العيش وصلاح المعاش ما لم يعيش مع الجم الغفير من المتعاونين في المدن والقرى هذا من جانب، ومن جانب آخر أنه لا بد للبشر من أن يكون لهم سلطان يملكهم ويرأسهم ويحكم فيما بينهم فيما يختلفون ويتنازعون، ويمنع الظالم القوي من التعدي على الضعيف المظلوم، ويأمن لخوفه السبل، ويأخذ الناس بلزوم سنة الناموس وتأدية موجبات فرائضه التي في إقامتها وحفظها صلاح للجميع.

وإن خدموا السلطان وقاموا بواجب طاعته فما عليهم إلا تحمل الجهد والبلوى أكثر مما يحصى من تعب الأبدان وهموم النفوس وعناء الأرواح، وتلف الأجساد، واحتمال الذل وشماتة الحساد، ومدارة الإخوان، وعداوة الأقران، ومشقة الأسفار، ومخاوف الحروب، وما يتكلف من التعب والعناء في جميع الآلات والاثاث من السلاح والدواب وحوائجها ومرافقها مما لا يحصى عداها كثرة^(١٤٦).

هـ - احتياجات الجسد:- الموت خلاص وتحرر للإنسان من الحاجة للمواد التي لا قوام لجسده إلا بها وتتمثل كما ذكر سابقاً بالأكل والشرب والملبس والمسكن والمركب والاثاث وغيرها من المتطلبات التي تجعله يبذل الجهد والوقت من أجل سدها وتلبيتها، فيتعلم الصنائع والتجارة (بيع وشراء)، والكسب من الحرث والزرع، والخوض في الحسابات والمناقشات، وما قد يترتب عن جمع المال من حرص وشرة في جمعها والسعي إلى حفظها من حيل اللصوص وقطاع الطرق، والآفات العارضة، وما تجلبه هذه الأموال أيضاً من هم إذا تسلط عليها السلطان وأخذها ظلماً وجوراً. فهذه الحاجات لا تجلب لصاحبها غير الكد والعناء، والهم والغم، وتعب البدن، وعناء الروح وشقاء النفس، ولا راحة له من تلك الآلام إلا بالموت^(١٤٧).

وأضاف الإخوان أن الذي يتمنى البقاء والخلود في هذه الدنيا على الرغم مما فيها من الآفات فهكذا تمنى ورغبة لا يقدم عليها إلا من كان لا يؤمن بالآخرة، ولا يصدق بالمعاد، ولا يتصور الوجود إلا هكذا، إذ يظن ويتوهم أن ما بعد الموت عدماً أو شراً محضاً. أما من تصور كيفية الدار الآخرة وتحقق أمر المعاد، وعرف فضلها وشرفها وسرورها، ولذاتها ونعيمها، فلا عذر له في التمني للخلود في الدنيا مع ما قد عرف من آفاتنا وشروها، وأحزانها ومصائبها وبلباتها^(١٤٨).

الخاتمة

يُستخلص من تلك الدراسة أن إخوان الصفاء اهتموا بموضوع الموت اهتماماً كبيراً، وأنهم نظروا له من ناحيتين: دينية وفلسفية. وأكدوا أن الموت هو في مفارقة النفس للجسد، فهو ليس موتاً للنفس، بل للجسد وحده، فبالموت يحصل الانفصال بين رقيقين قد تصاحبا بعد تنافر فانتهى الأمر إلى الألفة بينهما حتى عشقت النفس الجسد وأفتت وقتها في سد احتياجات رفيقها الذي ستفارقه عند وضعه تحت التراب وانتفاخه وتفسخه، لتنتقل نحو عالمها الروحاني الآخر، فالنفس جوهر خالد غير معرضة للفناء. إذ ستمر بحياة جديدة هي حياة البرزخ ومن بعده يوم البعث والقيامة فتتال الجزاء من ثواب أو عقاب على ما قدمته من أعمال في سالف الأيام عندما كانت بمعية رفيقها الثقيل، الزائل المنحل، الفاسد بطبعه.

عمل إخوان الصفاء على تأويل موضوعات مثل البعث والقيامة والجنة والنار والأعراف والثواب والعقاب بما يتلائم وطابعهم الفلسفي التأويلي، على الرغم من كثرة استشهادهم بآيات من القرآن والأحاديث وأخبار الأنبياء والأولياء في مختلف الأديان، ومحاولتهم عرض بعض الموضوعات بطريقة تتفق مع الدين الإسلامي، ورأي جمهور المسلمين بمختلف طبقاتهم، إلا أنهم بالغوا كثيراً في تأويلاتهم حتى أخذت الموضوعات تخرج من نطاقها الديني والعقلي والفلسفي، إلى نطاق مسرف في التأويل خارج عن المألوف.

سعى الإخوان إلى إقناع الذين يخشون الموت بأن الموت ليس بالمخيف، بل هو حكمة من الله ورحمة ونعمة، وعلى المؤمن أن لا يخشاه، بل يتمناه؛ لأن الوعود التي وعد بها أصحاب الشرائع في كتبهم السماوية إنما تكلمت عن نعيم منتظر وثواب ومجازاة على الأعمال الصالحة التي فعلوها في حياتهم، وأن الحائل بينهم وبين تلك النعم هو الموت، فالموت هو الانتقال من عالم الدنيا الضيقة نحو العالم الفسيح، هو الطريق لعروج النفس نحو العالم السماوي عالم الدوام، هو المعبر نحو النقاء النفس بعالم الملائكة والرسول والأنبياء والأولياء وعباد الله الصالحين. الموت هو انتقال النفس من عالم الزوال عالم الكون والفساد نحو عالم الخلود.

الموت هو تحرر للنفس من الآثار الناتجة من حركة الكواكب في أفلاكها وما ينتج عنها من متاعب كانت قد عانتها عندما كانت مع الجسد.

الموت راحة للنفس من الآم التي كانت تصيبها جراء حاجات الجسد الغريزية والمتطلبات الكثيرة التي كان عليها تلبيتها للبقاء مع الجسد، فالموت هو التحرر من أسر الطبيعة، ونيل للحرية حيث الانتقال من عالم المادة إلى عالم الروح.

الموت هو عدم الحاجة للغير في سد متطلبات الجسد لغرض البقاء في عالم الدنيا، فليس لها حاجة ولاخوف من سلطان جائر، ولاهي بحاجة إلى جمع المال وتعلم الصنائع والحرف لغرض سد الاحتياجات، بل ستتخلص من الهم والغم الذي كانت تعانيه، والتعب والجهد الذي كانت تبذله لغرض توافر ما يلزم الجسد، فالنفس ليست محتاجة لكل هذه الأمور وإنما تعمل ذلك إرضاءً للجسد، وعليه فمفارقتها للجسد نعمة وحكمة ورحمة.

على كل ذي عقل وإيمان أن لا يخشى الموت، وأن الذين يخشونه لا يخرجون عن أمرين: أما أنهم يعتقدون الموت حقيقة عدمية إذ يتصورون أن النفس تفتى بفناء الجسد، أو أنهم لا يؤمنون بالبعث والقيامة، وما ورد ذكره من قبل الرسل والأنبياء (ع) وما نقلوه من أفكار في الكتب السماوية المنزلة.

الهوامش

(١) يُعد موضوع التعريف بإخوان الصفاء من الموضوعات المعقدة جداً، لكثرة واختلاف ما قيل حولهم، ولا أكون مبالغاً إذا قلت أن هذا الأمر يتطلب مؤلفاً كاملاً. وسأشير لجانب من الآراء التي قيلت عنهم بشكل عام ومختصر في الوقت نفسه. وصفهم التوحيدي بعصابة تألفت بالعشرة، وتصافت بالصدافة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله. وأنهم يرون أن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه إذا انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال. يُنظر التوحيدي، أبو حيان، (ت ٤٠٠هـ) الإمتاع والمؤانسة، اعتنى به وعلق عليه محمد الفاضلي، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ١٥٩. كذلك المقابسات، تحقيق وشرح: حسن السندوي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط ١٣٤٧، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م، ص ٤٦. وأكد أكثر الباحثين على أنهم كانوا من الإسماعيلية وعلى صلة بهم، وسأذكر بعض من هذه الآراء على سبيل المثال لا الحصر. رأي المستشرق واط رأي المستشرق لان ريتشارد نيتون، وفضل الرحمن. أكد الاول أنهم جماعة من الفلاسفة والكتّاب العلميون أيدوا حركة الإسماعيلية، وادعوا أن المعرفة الحقة في كتبهم استمدوها من الإمام، على الرغم من أنها جاءت في المقام الأول من فلسفة اليونان وحكمة العرب. أما نيتون فأكد أنهم احتلوا مكانة خاصة عند الذين درسوا تطور الفكر العربي والإسلامي، وكانوا محبوبين على نحو الخصوص من قبل الإسماعيليين الذين يزعمون أنهم منهم. ومازالت هذه الجماعة تشكل لغزاً بسبب نوعية تركيب أفكارها، والغموض الذي يكتنف هويتها وموقفها الأصلي. والواقع أن فكرهم يستحق ما هو أكثر من مجرد دراسة سطحية؛ لأن الإخوان مشهورين في الشرق الأوسط كشهرة هيجل، وكانت، وفولتير، في الغرب. أما ما ذكره فضل الرحمن أكد علاقة الإخوان بالإسماعيلية وقد اقتربوا من تجديد نظريات ومواقف حول الدين والطبيعة، وأنهم على الرغم من أن نظرتهم الفلسفية تحتوي نوعاً من الغموض والمثالية والرومانسية إلا أنهم استطاعوا التأثير على تطور وقوة الحركات الروحية عند متصوفة الإسلام. يُنظر

Watt , Montgomery , Islam and the integration of society , printed in Great Britain , First published , 1961,p 70.

كذلك

Lan Richard Netton , The Brethren of Purity (IKhwan al –Safa)include book History of Islamic philosophy , Edited by Seyyed Hossein Nasr,and Oliver Leaman , Ansariyan publications , Qum,2008,p222.

كذلك

Fazlu Rahman , Islamic philosophy , Article in the Encyclopedia of philosophy , published in Macmillan , London and Free press, New yourk, 1967m volum 3-4, p221.

ظهر جماعة إخوان الصفاء في البصرة، وأصبح لهم فرع في بغداد، وقيل أن أبا العلاء المعري (٣٦٣هـ-٤٤٩هـ) الشاعر الكبير كان على صلة بجماعة بغداد. يُنظر الدسوقي، د. عمر، إخوان الصفاء، مطبعة الرسالة، مصر، ١٩٤٧، ص ٤٧-٤٨. أما عن تاريخ ظهورهم فمن الباحثين من أرجعه إلى بداية القرن الرابع الهجري وهذا ما ذهب إليه مثلاً الدكتور عمر فروخ، ومنهم من قال في منتصف القرن الرابع الهجري كجبور عبد النور وغيره، وهناك من أرجعهم إلى نهاية القرن الرابع الهجري كالمستشرق واط على سبيل المثال لا الحصر، وهناك من أرجعهم إلى ما قبل القرن الرابع الهجري. يُنظر فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٣، ص ٣٧٧. كذلك عبد النور، د. جبور، إخوان الصفاء، سلسلة نوايغ لفكر العربي (٧)، دار المعارف، مصر، ط ١٩٧٠، ٣، ص ٥. كذلك Watt , Islamic and the integration of society , p 70. أما عن آراء من ذهبوا إلى ما قبل القرن الرابع الهجري فقد ذكر قسم منها الدكتور عادل العوا في كتاب حقيقة إخوان الصفاء، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ٨، ١٩٩٣، ص ٥٨.

ترك الإخوان عدة رسائل بعضها معروف كالرسائل الإحدى والخمسون، ثم رسالة سموها بالجامعة، ونسب لهم عارف تامر رسالة أخرى هي جامعة الجامعة. ويبيّن الإخوان أن لهم (المدارس الأربع، والكتب السبعة، والجفران، والرسائل الخمس والعشرون. حول الرسالة الإحدى والخمسون يُنظر: إخوان الصفاء، الرسائل إخوان الصفاء وخللان الوفاء، ت بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ط ٢٠٠٤، ج ٤، ص ٢٥٠. وحول الكتب الأربعة، يُنظر: المستور، الإمام أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الرسالة الجامعة (تاج رسائل إخوان الصفا وخللان الوفاء، تحقيق: مصطفى غالب، دار صادر، بيروت، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، النصف الثاني، ص ٥٣٩.

واختلف المهتمون بتراث الفكر الإخواني حول من هو الواضع الحقيقي لتلك الرسائل، وهذا ما أشار له على سبيل المثال القفطي، إذ بيّن أن البعض نسبها إلى الأئمة من نسل علي بن ابي طالب (ع)، ولكنهم اختلفوا في تحديد من هو الإمام، ونسبها قسم آخر إلى متكلمي المعتزلة في العصر الأول. يُنظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الوزير (٥٦٨هـ-٦٤٦هـ)، تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى -المنتجات الملتقطات من أخبار العلماء بإخبار الحكماء، تحقيق: يوليوس ليبيرت، ترجم حواشيتها ومقدماتها وأضاف إليها: د. محمد عوني عبد الرؤوف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١٤٢٩، ١٤٠٨-٢٠٠٨م، ص ٨٢.

بل الاختلاف حصل أيضاً حول الرسالة الجامعة فنسبها مصطفى غالب للإمام أحمد بن عبدالله، ونسبها جميل صليبا للحكيم المجريطي (٣٣٨هـ-٣٩٨هـ). والأرجح أن المجريطي هو مجرد ناقل لتلك الرسالة من بلاد المشرق العربي إلى بلاد المغرب العربي. الباحث.

(٢) من الذين أكدوا على أن الخوف من الموت فطري (مكسر شلر)، إذ أن الإنسان حسب وجهة نظره يعرف على نحوٍ حدسي وقبلي سابق على أية ملاحظة أو تجربة استقرائية، أنه يتعين عليه أن يموت حتى لو كان وحيداً في هذا العالم، ولم يسبق له قط أن شاهد كائنات أخرى قد تحولت إلى جثه. أما لاند سبيرج فقد أكد أن الخوف من الموت مكتسب إذ يدرك الإنسان ذلك من خلال تجربة خاصة بالموت، فموت صديق لصيق لنا يجعلنا نكشف عن فئتنا. يُنظر جاك شورن، الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، إبريل، ١٩٨٤، ص ١٨-٢٠.

(٣) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ت بطرس البستاني، ج١، ص ٣١٧.

(٤) المصدر والصفحة نفسهما.

(٥) يُنظر المصدر نفسه، ص ٣١٧-٣١٨.

(٦) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ت بطرس البستاني، ج٣، ص ٥٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٧-٥٨.

(٨) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ت بطرس البستاني، ج١، ص ٢٥٩-٢٦٢.

(٩) سورة يونس، آية ٧. كذلك إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج١، ص ٣٢٩-

٣٣٠. أكد الإخوان أن أكثر الناس من أتباع واضعي الناموس وأنصارهم مقرون بالآخرة مؤمنون بها، ولكنهم لا يعرفون ماهيتها ولا يدرون ما حقيقتها، ولا كيفيتها وأبنيتها، ولا متى وقت الوصول إليها، وهكذا الحال مع الكثير من المتفلسفين، إذ هم يقرون بعالم الأرواح، وجواهر النفوس، ولكن أكثرهم لا يدركون كيف الوصول. يُراجع: المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

(١٠) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٣٠٩.

(١١) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٤، ص ١٨٣-١٨٤. يرى الإخوان أن النفس

كانت قبل الجسد بزمن طويل، وستبقى بعد مفارقتها للجسد. يُنظر إخوان الصفاء، من تراث إخوان الصفاء جامعة الجامعة، تحقيق وتقديم: عارف تامر، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، ط٢، بلا تاريخ، ص ١٦٣.

(١٢) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٤، ص ١٨٤-١٨٥. من الأفكار التي

وردت عن إخوان الصفاء أنهم أكدوا بأن النفوس الجزئية إنما اهبطت واتحدت بالأجسام جزاء لها لما استحقت من العقاب والعذاب بسبب النسيان، ويقصدون به ما كان من أمر آدم وأنها تقطعت إلى ثلاث فرق على حد وصفهم، واحدة اتحدت بالجواهر المعدنية أو المعادن، وأخرى بجواهر النبات، وأخرى بجواهر الحيوان، وشمل الحيوان الذي أفضله عالم الإنسان. وحسب معتقدهم بدور النفس الكلية إذ يرون أن هذه النفس الكلية قد عطف بعد ذلك راجعه إلى قبول الفيض العقلي بالتوبة والإتابة، والاستغفار لمن في الأرض، فبعث الله الأنبياء والمرسلين، وعمر عالم الكون والفساد، وامتألت جهنم من الجن والأنس.

وأما من تذكر واعتبر ففاز ونجا. علاوة على أن الله جعل الإنسان سميعاً بصيراً بعد أن خلقه من نطفة أمشاجا، وهده إلى السبيل وابتلاه ليكون أما شاكراً أو كفوراً. يُنظر إخوان الصفاء، جامعة الجامعة، ص ١٥٨-١٥٩.

(١٣) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٤، ص ١٨٥-١٨٦.

(١٤) سورة الأسراء، آية ٧٢.

(١٥) يُنظر: إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٤، ص ١٩٣-١٩٤. دعا الإخوان من يُريد الخلاص من أسر الطبيعة وظلمة الأجساد والنجاة من الغرق في بحر الهوى، والدخول في زمرة الملائكة، والتنفس من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن أن يتبعهم، ويسمع أقوالهم، ويطلع على علومهم، وأن يسلك مسلكهم، ويدخل مدينتهم الروحانية. يُنظر: المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(١٦) أفلاطون (٤٢٨ ق.م-٣٤٨ ق.م): فيلسوف يوناني ولد في أثينا من عائلة أرستقراطية عرفت بمشاركته الفعالة في السياسة، اسمه الأصلي أريستوكليس، ولقب ب(بلاتيز) لضخامة بنيته، كان شاباً ذكياً برع في الشعر والموسيقى والمصارعة. نشأ أفلاطون في فترة الحرب البيلوبونيسية بين أثينا وإسبارطة التي دامت سبعة وعشرون عاماً حيث أدى استسلام أثينا إلى إسبارطة إلى وضع حد للهيمنة والديمقراطية الأثينية وشكل ذلك بداية لنهاية روعة الحضارة اليونانية. لم يرغب أفلاطون بالسياسة وتوجه نحو الفلسفة، إذ لم يُحبذ ما فعه أقاربه وعائلته من دور في دمار الحكومة الأثينية، ولم يعجبه مناهضة أقاربه للديمقراطية بعد استسلام أثينا. عانى أفلاطون من مأساة أخرى عندما أعدم معلمه المحبوب سقراط، وسافر عبر جنوب إيطاليا وصقلية وشمال أفريقيا. وخلال تلك الرحلات كتب محاوراته الأولى، وعلى الرغم من رفضه للحياة السياسية إلا أنه كان منخرطاً وعمق في التنظير السياسي. بعد عودته إلى أثينا عام ٣٨٧ ق.م أسس مدرسة خاصة لدراسة المشكلات الفلسفية وتدريب القادة السياسيين المستقلين، وأقام ما أسماه بالأكاديمية نسبة إلى البطل أكاديموس. وكان من أشهر طلابه أرسطو الذي دخلها في سن المراهقة وبقي فيها مدة عشرون عاماً أي حتى وفاة أفلاطون عن عمر واحد وثمانين عاماً. يُنظر

Christopher Biffle , Land scap of the Wisdom Aguided Tour of Western philosophy , Crafton Hills college , Mayfield publishing company , mountain view , California.London. Toronto.p182-183. ترجمة بتصرف

(١٧) يُنظر أفلاطون، الجمهورية، نقلها إلى العربية حنا خباز ، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٠ ، ص ٢٧٨. وفكرة النقد لمن عمل على إصلاح الجسد على حساب النفس نقدتها الفلاسفة المسلمون أيضاً، وسأشير على سبيل المثال إلى إبي إسحاق الكندي (١٨٥هـ-٢٦٠هـ) إذ أكد أن النفس سانس، والبدن مسوس، النفس باقية، والبدن دائر، ومصلحة الباقي والعناية بتقويمه وتعديله أصلح وأفضل من إصلاح وتعديل الدائر لامحالة، إذ البدن فاسد بالطبع، وعليه فإصلاح النفس وإشفاؤها أوجب علينا وبشدة من

إصلاح اجسامنا. يُراجع يعقوب بن إسحاق الكندي، رسالة في الحيلة لدفع الأحران، مخطوط أيا صوفيا، رقم ٤٨٣٢-ورقة ٢٣-٢٦ب، ص ١١. الموقع الإلكتروني

Document, <https://www.scribd.com> .

(١٨) يُنظر الرضوي، اختر عباس، نظرية النفس عند إخوان الصفاء، سلسلة رسائل أكاديمية (المركز الإسلامي للدراسات المعاصرة) رئيس التحرير الدكتور الشيخ محمد شقير، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ١٩٦. ولمزيد من التفصيل يُراجع ص ٢٠١-٢٠٢.

(١٩) أشار المستشرق واط على سبيل المثال لا الحصر إلى نزعة الإخوان الانتقائية اعترف الإخوان أنفسهم عن نزعتهم الانتقائية ورغبتهم بجمع الحكمة من كل الأمم والأديان فنوح وإبراهيم وسقراط وافلاطون وزرادشت والمسيح ومحمد وعلي كلهم مقدسون، وسقراط والمسيح وحواريوه لا يقتلون عن أولاد علي، يكرمونهم كشهداء مقدسين، لإيمانهم العقلي... وأكدوا بالفكر الفلسفي العميق النابع من قوة الذكاء توقظ النفس من الغفلة ورعدة الجهالة، والصعود من الحياة الأرضية إلى الحياة الروحية النقية، وأنهم استطاعوا بناء فلسفة روحانية هي تكرار لأساطير تعود لليهودية، واليونانية، والمسيحية، والفارسية، والهندية، وبيّنوا أن الهدف من فلسفتهم التشبه بالله بقدر طاقة الإنسان. يُنظر

T.J.Debore, The history of philosophy in Islam , translated by Edward -R- Jones, published by Mrs Rani Kapoor , Cosmo publication , New Delhi, 1933, p85

(٢٠) من الفلاسفة المسلمين الذين تكلموا عن الموت نذكر على سبيل المثال أبا إسحاق الكندي (١٨٥هـ-٢٥٦هـ) وأبا بكر الرازي (٢٢٦هـ-٢٥٠هـ أو ٣١٣هـ-٣٢١هـ) وابن مسكويه (٩٣٢م-١٠٣٠م)، ونصير الدين الطوسي (١٢٠١م-١٢٧٤م). ورد عن ابن مسكويه مثلاً وتابعه في ذلك الطوسي أن الخوف من الموت أمر عام، وأنه أبلغ من جميع المخاوف، يعرض لمن لا يعرف الموت على حقيقته فيظن أن بدنه إذا تحلل وبطل تركيبه انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم واندثار، وأن العالم سيبقى موجوداً أما هو فليس بموجود فيه، وهذا الظن يحصل لمن جهل بقاء النفس وكيفية المعاد. وقد يكون السبب هو ظنه بعظم ألم الموت وأن هذا الألم أعظم من ألم الأمراض التي ربما تقدمته وأدت إليه وكانت سبب حلوله. ومن الأسباب اعتقاد الإنسان بأن عقوبة ستحل به بعد الموت، أو بسبب الحيرة إذ لا يدري على أي شيء يقدم بعد الموت. وهناك من يخاف الموت بسبب ما يخلفه من مال وقنيات أخرى، وهذه كلها إلا ظنون باطلة لاحقيقة لها. يُنظر ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٤٢١هـ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دراسة وتحقيق: عماد الهاللي، مطبعة سليمان زاده، ط ١، ١٤٢٦، الناشر طليعة النور، قم، ص ٣٠١-٣٠٢. كذلك الطوسي، الخواجه نصير الدين، أخلاق ناصري، ترجمه عن الفارسية ووضع الدراسات والتحليلات العلمية: د. محمد صادق فضل الله، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٢٤٢. ولمزيد من التفصيل حول

ما ذكره الطوسي يُنظر: الصفحات من ٢٤٢ إلى ص ٢٤٨. وكنموذج للخلاص من خوف الموت أذكر ما ورد عن الكندي والرازي فأكد الأول أن الإنسان يكره الرديء، ويكره الموت ظناً منه برداعته، والحقيقة أن الموت ليس رديئاً، بل الرديء هو الخوف منه؛ لأنه من تمام طباعنا فحد الإنسان هو الحي الناطق المانت، والحد مبني على الطبع وعليه فإن لم يكن موت لم يكن إنسان. الكندي، يعقوب ابن إسحاق، رسالة في الحيلة لدفع الأحران، مخطوط أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢ (ورقة ٢٣-٢٦ب)، ص ٢٨، الموقع الإلكتروني، <http://www.scribd.com> , document . وأكد أن الأنفس الضعيفة التمييز المائلة للحس في موقفها من الموت إنما غلظت وظنته مكروهاً، فجمع القنيت الحسية ليس رديئاً، ولكن الرديء هو حزننا عليها، فنحن من خلال عملنا هذا ادخلنا على النفس آلاماً ليست باضطرابية. فلو كنا رديئاً الطبع و العيش، فالراضي بذلك هو رديء الاختيار، عادم للعقل؛ لأن العقل يضع الأشياء مواضعها، أما عدم العقل فيعني وضع الأشياء مواضعها ويظن بخلاف ماهي. المصدر نفسه ، ص ٣٠. وأما الرازي فأكد أن الخوف من الموت عارض لا يمكن دفعه بصورة كاملة إلا إذا اصبحنا على قناعة بأننا سنصير بعد الموت إلى ما هو اصلح مما كنا فيه، ويبين أن الناس نوعان: هناك من يؤمن بفساد النفس مع البدن، وهناك من يؤمن ببقائها بعد مفارقة البدن وأنها ستثاب على ما قدمت من أعمال صالحة، وعلى كلا الحالين فعلى الإنسان أن لا يخاف من الموت، فبالنسبة للذين يعتقدون بقاء النفس مع البدن فلا مبرر لهم من الخوف إذ لا ينالهم شيء بعد الموت لا ألم ولا لذة إذ اللذة والألم ينالها من حيث هو حي وعليه فمن هذا معتقده فهو مائل من عقله إلى هواه. يُنظر الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، كتاب الطب الروحاني، ضمن كتاب رسائل فلسفية مضاف إليها قطعاً من كتبه المفقودة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١٩٧٩، ص ٣، ٩٣-٩٤. ودعا إلى ضرورة عدم التصور الدائم للموت لمن يخافه؛ لأن المتصور له والخائف منه سيموت في كل تصوية موته فتجتمع عليه من تصوره له مدة طويلة موتات كثيرة، والأفضل له التلطف واللجوء إلى الحيلة لإخراج هذا الغم عن النفس، فالعاقل هو الذي لا يغمم البتة؛ كونه يعرف أن للغم سبباً فيعمل على دفعه ويحل مكان الغم فكراً. أما عن الذين يعتقدون ببقاء النفوس بعد موتها فخوفهم غير مقبول خصوصاً من قبل الإنسان الخير، الفاضل، المؤدي لما فرضت عليه الشريعة المحضة؛ لأنها وعدته بالفوز والراحة والوصول إلى النعيم الدائم. المصدر نفسه ٩٥-٩٦.

(٢١) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ٢٢٧، كذلك ص ٣٣٠. وتعريف الإخوان للموت قريب جداً من تعريف ابن مسكويه ومن بعده نصير الدين الطوسي إذ ورد في تعريفهما ((... أن الموت ليس بشيء أكثر من ترك النفس استعمال آلتها وهي الأعضاء التي يسمى مجموعها بدنًا...)). ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٣٠٢.

(٢٢) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ٢١١-٢١٢.

(٢٣) سورة الواقعة، الآيات ٥٨-٥٩-٦٠-٦١. كذلك رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ص ٢١٢.

(٢٤) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٣٩.

(٢٥) أشار الإخوان لعدة آيات قرآنية كقوله تعالى: ((...إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)) سورة الحديد، آية ٢٠. وقوله تعالى: ((يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)) الروم، الآية ٧. وقوله تعالى: ((وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى)) النساء، آية ٧٧. وقوله تعالى: ((وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) العنكبوت، آية ٦٤.

(٢٦) إخوان الصفاء، من تراث إخوان الصفاء (جامعة الجامعة)، تحقيق وتقديم: عارف تامر، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، ط٢، بلا تاريخ، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢٧) سورة الدخان، آية ٥٦. ذكر الإخوان عن عيسى بن مريم (ع) بأنه أكد أن من لم يولد ولادتين لم يصعد إلى ملكوت السماء. يُنظر رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢٨) سورة الأعراف، آية ٤٣.

(٢٩) سورة غافر، آية ١١.

(٣٠) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ٢٢٧.

(٣١) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٣٨-٣٩. بتصرف.

(٣٢) حدد الإخوان العمر الطبيعي للإنسان بمئة وعشرون سنة. إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٢، ص ٤٤٥. وربطوا العمر بدورة الشمس، إذ بيتوا أن الجنين إذا مكث في الرحم ثمانية أشهر ثم ولد فإن الباقي للشمس في المسير إلى أن تعود إلى الدرجة التي كانت فيها يوم مسقط النطفة أربعة أبراج أي مائة وعشرون درجة فيستأنف المولود العمر في الدنيا لكل درجة سنة، فإذا مكث تسعة أشهر فالذي يبقى له ثلاثة أبراج أي تسعون درجة، ويستأنف المولود من العمر تسعون سنة، فإذا مكث عشرة أشهر فالذي يبقى له برجان أي ستون درجة، وعندها سيستأنف المولود من العمر ستون سنة. وهكذا أكدوا بأن الجنين كلما زاد في المكث نقص في العمر. وأما بالنسبة للذين خرجوا عن تلك القاعدة مثلاً جنين مكث في الرحم عشرة أشهر ولكنه عاش مائة وعشرون سنة، أو مكث في الرحم تسعة أشهر ومات وله من العمر ستون عاماً فذلك حسب زعمهم لعل وأسباب خارجة عن الأمر الطبيعي، وشرح ذلك بطول. يُنظر المصدر نفسه، ص ٤٥١-٤٥٢. وأسهب الإخوان بالحديث عن أثر حركة الكواكب على الإنسان منذ لحظة سقوط النطفة حتى لحظة بلوغه من العمر الخامسة والسبعون. يُنظر المصدر نفسه، الصفحات من ٤٤٦ إلى ٤٤٩. وربط الإخوان موضوع طول العمر وقصره بالرزق والنعيم زيادة وقلة. فبيتوا أن الله تعالى جعل لكل مولود قدراً معلوماً من السعادة في الدنيا وجعلها قسمين: قسم جعله لطول العمر، وآخر لرغد العيش، فربما يزيد لأحد المواليد في عمره وينقص من رغد العيش، وقد يزيد لإنسان في رغد عيشه وينقص من عمره؛ ولهذا نجد أن كثيراً من سعداء أبناء الدنيا من أصحاب العيش الرغد يكونون قصيري الأعمار. كما نجد أن كثيراً من طويلي الأعمار ناقصي رغد العيش. وجعل الله أيضاً لكل إنسان حظاً من السعادة وقسطاً من النعيم، وجعلها قسمين أو قسطين: قسط منها في الدنيا، وقسط في الآخرة. ومكادتهم يكثرون من الاستشهاد بالآيات القرآنية المباركة كقوله تعالى: ((وَكُلُّ

- شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)) الرعد، آية ٢٥٠. وقوله تعالى: ((وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)) الحجر، آية ٢١. وفسروا كلمة مقدار بما يدخل الإنسان حظه من النعيم. يُنظر رسائل إخوان الصفاء، ج٢، ص ٤٥٢.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٤٤٥.
- (٣٤) سورة ق، آية ٢٢.
- (٣٥) سورة العنكبوت، آية ٥٧.
- (٣٦) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٤١-٤٢. أشار الإخوان هنا إلى قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي)) سورة الفجر، آية ٣٠.
- (٣٧) سورة السجدة، آية ١١.
- (٣٨) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج١، ص ٢١٢.
- (٣٩) سورة النحل، آية ٣٢. ولزيادة الفائدة أقول أن هناك آية في نفس سورة النحل أشارت أيضاً أن الذين تتوفاهم الملائكة هم الظالمون لأنفسهم وهذه الآية سابقة على تلك الآية إذ ورد قوله تعالى ((الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) سورة النحل آية ٢٨،
- (٤٠) إخوان الصفاء، جامعة الصفاء، ص
- (٤١) المصدر نفسه، ص ١٩٣.
- (٤٢) سورة الزمر، آية ٤٢.
- (٤٣) إخوان الصفاء، جامعة الصفاء، ص ١٩٤.
- (٤٤) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج١، ص ٢٦٦.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٠.
- (٤٦) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٣٨.
- (٤٧) سورة طه، آية ٥٥.
- (٤٨) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج١، ص ٣٢٩. أشار الإخوان إلى قوله تعالى: ((يريدون عرض الحياة الدنيا والله يريد الآخرة)) الأنفال، آية ٦٧. وقوله تعالى: ((تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) القصص، آية ٨٣. وقوله تعالى: ((وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)) العنكبوت، آية ٦٤.
- (٤٩) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٢، ص ٤٤٣.
- (٥٠) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٤، ص ٢٣٤-٢٣٥.
- (٥١) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.
- (٥٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٤.
- (٥٣) يُنظر إخوان الصفاء، جامعة الصفاء، ص ١٨٩.

(٥٤) يُنظر المصدر نفسه، ص ١٩٠-١٩١. ذكر الإخوان في هذا الموضوع بعض من آيات الذكر الحكيم كقوله تعالى: ((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) غافر، آية ٤٦. وقوله تعالى: ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)) النمل، آية ١٤.

(٥٥) فيثاغورس (٥٧٢-٤٩٧ ق.م) نشأ فيثاغورس في ساموس، وطوف أنحاء الشرق، لما ناهز الأريعيين من العمر ذهب لإيطاليا الجنوبية فنزل ثغر اقروطونا في مدرسة طبية مشهورة، وعندما ذاع صيته في العلم والفضل طلب منه مجلس الشيوخ أن يعظ الشعب، وامتلئ للأمر، وأصبحت لديه شعبية كبيرة، وأخذ المريدون القدوم إليه من مختلف أنحاء روما وصقلية ومدن جنوب إيطاليا. أنشأ فرقة دينية علمية ضمت الرجال والنساء، ودعت إلى العفة والبساطة بموجب قانون ينصب على الملابس والمأكل والصلاة، والتراتيل، والدروس الرياضية والبدنية، والتركيز على دراسة الرياضيات والفلك والموسيقى والطب، وشرح هوميروس وهزيود. وعرفت عن هذه الجماعة أنها كانت ذات طاعة تامة لمعلمها، والتأكيد على أهمية العلم كوسيلة فعالة في تهذيب الأخلاق وتقديس النفس. يُنظر كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، بلا تاريخ، ص ٢٠، ولمزيد من التفصيل يُراجع ص ٢١. والإخوان بلا شك قد تأثروا بالفيثاغورية في مسألة صدور نغمات وألحان عذبة ناتجة عن حركة الكواكب في أفلاكها.

فالفيثاغوريون يرون أن الفلك مرتب يبدأ بالسماء الأولى فالكواكب الخمسة، ثم الشمس والقمر والأرض المقابلة، وكلها تدور حول نار مركزية سموها (بيت زيوس)، وبحكم كونها ناراً كروية الشكل ومجموعها عشرة وباعتبار كمالها وانتظامها وبعد بعضها عن البعض الآخر بمسافات متناسقة فتصدر عنها أنغام عذبة موسيقية تسحر الألباب، وتتحرك حركة هادفة كما تتحرك عقارب الساعة سواء بسواء. يُراجع آل ياسين، د. جعفر، فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط، مكتبة الفكر الجامعي، منشورات عويدات، بيروت، ط ١٩٧٥، ص ٥٠. وشبهوا تفاوت سرعة الأفلاك الناتجة عن تفاوت مسافاتهما بالعود حيث أن سرعة الاهتزاز تتفاوت بتفاوت طول الأوتار. يُراجع: كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٦.

(٥٦) يُنظر إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٥٧) سورة الأعراف، آية ٤٠.

(٥٨) يُنظر غالب، د. مصطفى، إخوان الصفاء، ضمن سلسلة في سبيل موسوعة فلسفية، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٤٣.

(٥٩) يُنظر قمير، يوحنا، فلاسفة العرب إخوان الصفاء، دار المشرق، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٣٣. لدى إخوان الصفاء أفكاراً حول النفس الإنسانية التي أصبحت ملاكاً والنفس التي تتحول إلى شيطان أثناء الحياة. يُنظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧. وتكلموا عن تحول بعض النفوس إلى شياطين بعد الموت. يُنظر: رسائل إخوان الصفاء، ج ٤، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٦٠) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ١، ص ٢١١-٢١٢.

(٦١) المصدر والصفحة نفسها .

(٦٢) يُعد التناسخ من أقدم المعتقدات في الكون، وما تزال تسيطر على أجزاء كبيرة من الهند والصين، إذ اعتقد بعض الناس في الشرق بأن أرواح البشر تنتقل من جسد إلى آخر. وربط فولتير فكرة التناسخ بالتحول والانتقال إذ أشار لموضوع تحول ذرة لا تكاد تدرك إلى دودة، وتصبح هذه الدودة فراشة. كذلك تحول حبة البلوط نفسها إلى شجرة بلوط، وتحول البيضة إلى طائر، والماء إلى سحاب ورعد، والخشب إلى نار ورماد. يُراجع: فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة: يوسف نبيل، مراجعة: جلال الدين عز الدين علي، الناشر مؤسسة هنداي سي أي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م، ص ٢٣٣.

(٦٣) الأورفية فرقة دينية قديمة تعبد الإله ديونيسيوس، وقيل أنها تعود لشاعر من أهل تراقيا اسمه أورفيوس، تعتقد الأورفية بأسطورة قتل الآلهة لديونيسيوس بتحريض من هيرا زوجة تزوس، فكان ديونيسيوس يتشكل بصور مختلفة لردمهم إلى أن انقلب ثوراً فقتلوه وقطعوه وأكلوه، ولكن الإله بلاس ميرفا استطاعت أن تحتطف قلبه وبعثت من هذا القلب ديونيسيوس الجديد، أما الآلهة الذين قتلوه أو ما سماوا بالطيطان فقد صعقهم الإله تزوس. وكانوا يعتقدون أن البشر خرجوا من رمادهم، وعليه فالإنسان مركب من عنصرين متعارضين: العنصر الطيطاني وهو مبدأ الشر، ومن دم ديونيسيوس وهو مبدأ الخير. ومن معتقداتهم أن الجسد بمثابة القبر للنفس والعدو اللدود إذ هما في حالة خصام دائم؛ لذا على الإنسان أن يتطهر من الشر وهذا كما يرون أمر عسير لا تكفي له حياة أرضية واحدة، بل لابد له من سلسلة ولادات قد تستغرق آلاف السنين. وكانت لديهم طقوس يمارسونها ليلاً تتمثل بتلاوة الصلوات الواردة في كتاب الموتى المعروف عن المصريين، إذ تأثرت الأورفية في موضوع الولادات المتعاقبة بالهنود أوالفرس. ومن معتقداتهم الابتعاد عن الانتحار حيث يُعد كفراً وعدول عن الامتحان، إذ إن الثواب لا بد من قدومه في وقت من الأوقات فتتجو النفس الصالحة من دولاب الولادات، وأكدوا ضرورة احترام الحياة حيثما وجدت سواء لدى الإنسان أو الحيوان أو النبات. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٦-٧.

(٦٤) لقد شقت النظرة الأورفية للموت طريقها إلى الفلسفة على يد فيثاغورس الذي علم تلاميذه تناسخ الروح وتطهيرها في عجلة الميلاد ثم عودتها إلى الاتحاد النهائي مع الله. وأخذوا ينظرون إلى أن الروح سجن في الجسم وأنها تغادره عند الموت، وبعد فترة من التطهر تدخل في الجسم مرة أخرى، وتتكرر هذه العملية عدة مرات، ومع كل وجود جديد تحتفظ الروح بنقائنها أو تصبح أفضل وأشد نقاء حتى تقترب أكثر من المرحلة النهائية التي يتم فيها التوحد مع الله، وهذا يتطلب اتباع نظام معين، وهكذا أصبحت الفلسفة على يدي فيثاغورس طريقة حياة تؤكد الخلاص. يُنظر: جاك شورن، الموت في الفكر الغربي، ص ٣٥.

(٦٥) ربط الباحث محمد عبد الحميد الحمد بين ما ذكره إخوان الصفاء وبين بعض أفكار الصابئة الحرائية إذ أكد أن الحرائيين يزعمون بأن لديهم معرفة بما تؤول إليه النفس بعد الموت إذ يستدلون على ذلك من أخلاق الشخص في الحياة، فإذا وجدوه شبيهاً بالبهيمة في التصرف ومحباً إلى اللذات، يحكمون عليه بأن نفسه نفس بهيمة لاتصلح إلا لعمارة الدار. وأن كل صنف من أصناف الأخلاق موجود بالناس

كالشجاعة في الأسد، والختل في الذئب، والروغان في الثعلب، والمواثبة في الديك، فإذا مات الإنسان انقلبت روحه إلى نوع البهيمة التي توافق خلقه في الحياة. ويعتقد الصابئة أيضاً بأن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء، أما الأرواح الشريرة فتنتزل إلى أسفل الأرضين. ومن ضمن ما يروونه أن العالم لا يفنى إذ الثواب والعقاب في التناسخ، وأرواح أهل الخير حال خروجها تدخل في أبدان خيرة فتستريح، بينما أرواح الأشرار عند خروجها تدخل في أبدان شريرة فتحمل عليها الميثاق، وإذا كثرت إساءة أهل الشر ستبلغ نفوسهم إلى الهبولى الأصغر أو ما يسمونه (الرسخ) فتعكس وتصبح حشائش تأكلها البهائم، فتصير الروح في بهيمة ثم تنسخ من بهيمة إلى أخرى، وهكذا ما تزال نفس الأشرار مسوخاً مترددة في العلل، وتعود كل ألف سنة إلى صورة الإنس، فإن أحسن في صورة الإنس لحقت بالمحسنين. يُنظر: الحمد، محمد عبد الحميد، صابئة حران وإخوان الصفا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٨٨، ص ٥٠-٥١. ومن الباحثين الذين تكلموا عن فكرة التناسخ عند إخوان الصفاء أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الباحث أختر عباس الذي أشار لفكرة ذبح الحيوانات، ودورها في تخليص نفوسها بالذبح، وأشار إلى مسألة تحريم ذبح بعض الحيوانات كقرايين، كما عد ما ذكره الإخوان في الرسالة الجامعة من استشهادهم في الآية ٥٦ الواردة في سورة النساء: ((كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ)) وهم بصدد الحديث عن عذاب أصحاب النفوس الغافلة الجاهلة المتكبرة أن من العذاب عندهم كما يرى تناسخ الأرواح، والجلود التي يقصدونها هي جلود الحقيقة في الدنيا، فيكون العذاب بخروج النفس من الجسد وانتقالها إلى آخر، بل عد استشهاد الإخوان أيضاً بقوله تعالى في سورة غافر الآية ((النار يعرضون عليها غدواً وعشياً)) أنهم قصدوا بذلك تناسخ الأرواح أيضاً. يُنظر الرضوي، اختر عباس، نظرية النفس عند إخوان الصفا، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، الصفحات ٣٠٧-٣٠٨-٣٠٩. وحول تحريم ذبح بعض الحيوانات يُنظر: المستور، الإمام أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الرسالة الجامعة، تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، تحقيق: مصطفى غالب، دار صادر، بيروت، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤، القسم الأول، ص ١٩٢.

(٦٦) يُنظر: عبد الله، د.وجيه أحمد، الوجود عند إخوان الصفا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٨٢. كذلك الفاخوري، حنا، وخليل الجرّ، تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣، ج ١، ص ٢٥٦-٢٥٧. وأشار الفاخوري والجرّ إلى معنى إضافي للبعث عندهم هو بعث المبدأ، ويعنون به انبعاث النفوس من العقل، ثم انبعاث الأشياء بعضها من بعض، ويدوها كلها من الله تعالى، وأكدوا أن بعث الابتداء هو البعث من حد القوة إلى حد الفعل، وهو إيراد الأشياء من العدم إلى الوجود بالضرورة وكونها في الهبولى. يُنظر: المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(٦٧) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٣٠١.

(٦٨) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٤، ص ١٧٩.

(٦٩) من الآيات التي استدلوها من خلالها كدليل نقلي على وجود الجنة والنار قوله تعالى: ((وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)) الأعراف، آية ١٩. وقوله تعالى: ((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) غافر، الآية ٤٦. وقوله جلّ وعلا: ((وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ)) الأعراف، آية ٤٦. وقوله تبارك وتعالى: ((وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) المؤمنون، الآية ١٠٠. وقوله تعالى: ((وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ)) هود، الآية ١٠٨. وقوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُمْ كُنُفٌ لَا تَعْلَمُونَ)) الروم، آية ٥٦. وقوله تبارك وتعالى: ((وَتَتَذَكَّرُونَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا)) الإسراء، آية ٥٢.

(٧٠) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٧١) المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

(٧٢) المصدر والصفحة نفسها.

(٧٣) المستور الإمام، أحمد بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الرسالة الجامعة (ذات الفوائد النافعة)، النصف الثاني، ص ٤٦٢. من ضمن تصورات الإخوان ضرورة عدم التعلق بالجسد والشهوات المادية، إذ النفس متى ما عطفت على محبة الجسم فإنها ستحشر معه، وتبقى حيث هو لا تفارقه. المصدر والصفحة نفسها.

(٧٤) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٣٠٥. حول الحديث النبوي الشريف يُنظر مثلاً: المجلسي، العلامة، بحار الأنوار، ج٥٨، ص ٧. المكتبة الشيعية، الموقع الإلكتروني

<http://www.Shia online.library.com>

(٧٥) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٧٦) أشار الإخوان إلى موقفهم من الوعد والوعد فأكدوا أن تأديب الله للمؤمنين مماثل لتأديب الملوك لأولادهم، وأن وعده ووعيده وعذابه للكافرين والمنافقين والفاستقين مماثل لوعيد الطبيب المشفق الحكيم لولده العليل الجاهل. وأن الله تعالى ذكر وعده ووعيده في القرآن في نحو من ألف آية. يُنظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج١، ص ٣٣٧-٣٣٨. وتطرق الإخوان لعرض رأيين حول الوعد والوعد، فذكروا أن هناك من أكد وجوب حكم الله بالعدل والإيفاء بوعيده كما يفى بوعدده، لأنه إن لم يفعل ذلك وصف بالكذب حاشاه. وهناك من يرى أن عدم الوفاء بالوعد لا يدخل ضمن الكذب، إذ الكذب هو الخبر بأنه فعل ولم يكن يفعل أو يقول ما فعلت وقد كان فعل. فالخلاف بالوعد يكون مذموماً، أما في الوعد فربما كان الخلاف عفوياً وصفحاً ورحمةً وتحناً وإشفاقاً وكرماً وسماحة. والإخوان مالوا للرأي الثاني وهذا يتضح من خلال مثال ذكروه جاء فيه أن طبيباً مشفقاً عالم، لديه ولد عليل جاهل، فطلب منه أن لا يأكل بعض الأشياء، ولا يشرب بعض الأشياء، وأن لا يفعل بعض الأفعال، وتوعده بالضرب والحبس والعقاب إن لم يفعل، ولكنه لم يفعل وبقي على مرضه، فالأب المشفق قطعاً لا يفى بوعيده، ولا يزيد ألمه ألماً

وعذاباً، فهكذا حكم وعيد الله، وهذا أليق برحمته وجوده وكرمه وإحسانه. يُنظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٥٠٢-٥٠٣.

(٧٧) يُنظر حول الحكام الخمسة: المصدر نفسه، ص ٣٠٧-٣٠٨-٣٠٩. وسأتكلم عن هؤلاء الحكام بشكلٍ مفصل لاحقاً في موضوع حكمة الموت.

(٧٨) يُنظر: المستور الإمام، أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الرسالة الجامعة، القسم الثاني، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٧٩) يُنظر الرضوي، أختار عباس، نظرية النفس عند إخوان الصفاء، ص ٣٢٦.

(٨٠) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٣٠١.

(٨٢) من معتقدات الإخوان أن الإمام السابع والذي يعنون به إمامهم الذي يظهر بعد الأنبياء ذوي العزم والذين خاتمهم محمد (ص). فهذا الإمام كالشمس إذ يبعث في العالم روح الحياة العلمية حال انتقاله من دور الستر إلى دور الكشف، وكما جعل الله من نور الشمس موضوعاً للصلاح بوصول أنوارها على الموجودات، فكذلك حال الرئيس السابع والذي يأتي بالرحمة للخلق، والنقل لهم من الحال الأدنى إلى الحال الأفضل. وأما من خالف السعادة الآتية عليه منه، واختار الشقاوة ومخالفة أمر القائد له إلى جنة النعيم، جنة الله وجواره، فمصيره الهلاك، واختيار الكون والفساد. يُنظر: المستور الإمام، أحمد بن عبدالله، الرسالة الجامعة، النصف الثاني، ص ٤٦٤-٤٦٥-٤٦٦. وأسهب الإخوان في الحديث عن النشأة الثانية وربطها بموضوع ظهور الإمام السابع وبالغوا في تأويل بعض الآيات القرآنية بهذا الشأن ليخرجوا بنتيجة مفادها أن النشأة الثانية تتمثل بقيام المهدي المنتظر، والبرقليط الأكبر كما سموه، وفي دور السابع تتم به الصورة الدينية، وينشأ فيها روح الحياة، وينتقل العالم بها من دار الدنيا إلى دار الآخرة، كخروج المولود إذا لحظته الشمس، وسرت فيه قوة النفس، وأكسبته روح الحياة، من الرحم إلى دار الدنيا، وكخروج المؤمن العارف من دار الدنيا إلى دار الآخرة بالموت، ونشأته نشأة ثانية، وهي ما أطلقوا عليه (الصورة الملكية) أي صورة التمام والكمال الداخلة بها إلى الجنة. وهكذا فالنشأة الثانية هي أمر السابع من جانب، والخلق الآخر من جانب آخر ((فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) المؤمنون، آية ١٤. المصدر نفسه، ص ٥٣٢. وحول موقفهم التأويلي لبعض آيات يُنظر: المصدر نفسه ص ٥٢٠-٥٢١.

(٨٣) نذكر على سبيل المثال لا الحصر رأي د. وجيه ود. محمد فريد حجاب. أكد الأول أن الإخوان أولوا القيامة على أربعة معاني هي قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسمانية. وبمعنى قيام الشرائع والآيات وظهور قائمهم. وبمعنى قيامة القيامات وهي مفارقة النفوس بأجمعها واتصالها بعالم القدس. وبمعنى قيامة الكل بانقضاء البعثين وانطباق المنطقين وحصول العلم والقدرة للنفس في العالمين، بطلان الفصول وخلع الهيولى لباس الصورة وإليه يرجع الأمر كله، علاوة على

قولهم بالقيامة الكبرى التي تعني مفارقة النفس الكلية لعالم الأثلاك، والقيامة الصغرى وتعني مفارقة النفس الجزئية لجسدها. أما حجاب فبين أن القيامة الصغرى التي تحدث عنها الإخوان إنما يقصدون بها الوقت الذي يدور فيه القران وتنصرم دولة أهل الشر، حيث أئمة الخير مستترين، ولا يملكون إلا على نفوس أتباعهم وشيعتهم فقط. أما عند حلول دولة أهل الخير على يد الإمام السابع أو المهدي المنتظر في دور الكشف وانجلاء الغمة فإنه سيملك النفوس والأجساد جميعاً. يُنظر: عبدالله، د.وجيه أحمد، الوجود عند إخوان الصفا، ص ٨٠-٨١. كذلك حجاب، د.محمد فريد، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، تقديم: د.عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص ٢٥٩. وفيما يخص التقسيمات التي قدمها د.وجيه فكلها مقبولة لأن الافكار التي يذكرها الإخوان هي في الأصل قابلة لأن تحمل عدة وجوه من الفهم وتشمل التي ذكرها في أعلاه. أما د.محمد فريد حجاب فلم يجانب الصواب بقوله أن القيامة الصغرى تعني قيامة قائمهم، إذ أسهب الإخوان في الحديث عن هذا الموضوع في رسالتهم الجامعة، القسم الثاني في عدة صفحات في ص ٤٦٤-٤٦٥-٤٦٦-٥٢٢-٥٢٣-٥٢٧. ولكن لايجوز قصر القيامة الصغرى على هذا المعنى وحسب، بل يشمل قيامة النفوس عندهم أيضاً، وعليه فقيامة قائمهم هي أحد مصاديق القيامة الصغرى.

(٨٤) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٢، ص ٤٩-٥٠.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ٥٠. بين الإخوان على من أراد النجاة من تلك الحال عليه برفقتهم بوصفهم إخواناً نفسانيين له، وأقرانا روحانيين، والاستماع إلى أقوالهم، وفهم مذهبهم، والنظر في كتبهم، والتعرف على طريقتهم وعلومهم، والعمل بسنتهم، والسير بسيرتهم، فلعله ينجو بصحبتهم ولا يمسه السوء. المصدر نفسه، ص ٥١.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٨٧) المستور، الإمام أحمد بن عبد الله، الرسالة الجامعة، النصف الثاني، ص ٤٨٩. من الأفكار التي أكدها جماعة إخوان الصفاء أن يوم القيامة لا يوجد ليل ولا نهار؛ وذلك لتوقف الشمس وارتفاع الزمان، فترفع الأيام ويصبح العالم نوراً كله وضياء؛ وذلك لإشراق النفس الكلية على العالم. فالزمان مبدأ حركة الفلك فتعرف أيامه بطلوع الشمس وغروبها، وذلك لا يحصل في أيام حركة النفس الكلية إذ الشمس عندها ليست بموجودة ولاحاجة إليها، واستشهدوا بقوله تعالى: ((لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا)) الإنسان، آية ١٣. وأضافوا مؤكدين وإذا ارتفع وجود الشمس ارتفع وجود الزمان، والليل والنهار، وعدة الأيام والشهور والسنين. المصدر نفسه، ص ٣٥٩.

(٨٨) يُنظر: المصدر نفسه، ص ٤٨٩.

(٨٩) سورة الأنبياء، آية ١٠٤.

(٩٠) المستور، الإمام أحمد بن عبدالله، الرسالة الجامعة، النصف الثاني، ص ٣٦٠.

(٩١) إخوان الصفاء، جامعة الصفا، ص ٨٦.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٨٧. يعتقد إخوان الصفاء أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وأن النبي محمد (ص) قد بُعث على آخر ألف سنة، ونسبوا حديثاً غير صحيح للنبي محمد (ص) جاء فيه: ((عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألف سنة، ولانبي بعدي، وفي آخر حياة هذه الأمة تقوم القيامة))، يُنظر: إخوان الصفاء، جامعة الجامعة. وعلق محقق هذه الرسالة عارف تامر إن الإخوان يعتقدون ابتداء عالم الدين منذ عهد آدم، وينتهي بالقائم المنتظر، وكانوا يرون أن النطقاء سبعة وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، والقائم المنتظر عليهم السلام. أما عن معنى بعثت في آخرها ألف سنة بمعنى أن دوره ألف سنة، كما أن دور كل ناطق قبله ألف سنة، وهذا معنى سبعة آلاف أي كل ناطق يكون دوره ألف عام، وأن معنى القيامة عندهم هو ظهور القائم المنتظر. يُنظر: جامعة الجامعة، هامش ص ٨٨.

(٩٣) سورة الأنبياء، آية ٤٧.

(٩٤) سورة الزمر، آية ٦٩.

(٩٥) يُنظر المستور، الإمام أحمد بن عبدالله، الرسالة الجامعة، النصف الأول، ص ٥٠-٥٢.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٩٧) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٦٣.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(٩٩) سورة المرسلات، آية ٣٠.

(١٠٠) سورة الأعراف، آية ٢٤.

(١٠١) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٦٣-٦٤.

(١٠٢) سورة الأعراف، آية ٢٥.

(١٠٣) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء، ج٣، ص ٦٤.

(١٠٤) سورة الحجر، الآيتان ٤٣-٤٤.

(١٠٥) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٦٤.

(١٠٦) سورة المدثر، آية ٣٠.

(١٠٧) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٦٤.

(١٠٨) سورة الأعراف، آية ٤٦.

(١٠٩) سورة الأعراف، آية ٤٧.

(١١٠) ذكر الإخوان أن الله مدح أهل الأعراف بقوله: ((رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)) النور، آية ٣٧. وقوله تعالى: ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)) السجدة، آية ١٦. يُنظر إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٦٥.

(١١١) يُنظر إسماعيل، د.محمد، إخوان الصفا، دار التنوير في الفكر العربي، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، ط١، ١٩٩٦، ص ٨٢-٨٣. أكد الإخوان على ضرورة عدم حمل الأوصاف الحسية التي ذكرها الأنبياء في وصف الجنة من أكل وشرب وغيرها، بل لابد من تأويلها. يُنظر: المستور، الإمام أحمد بن عبدالله، الرسالة الجامعة، النصف الأول، ص٥٢. وكذا الأمر بالنسبة لجهنم فهم عدوا اعتقاد من يرى أن الإنسان هو الجسد فقط وينكر وجود جوهر النفس، ويركز على الذات الحسية وينكر الذات الروحية في الحياة الأخرى فإنه سيقع بالكفر، فهؤلاء يظنون أن جهنم خندق محفور كبير واسع قد امتلأ نيراناً مشتعلة ملتهبية، وأن الله يأمر الملائكة قصداً وغيظاً على الكفار بأن يأخذوهم ويرموا بهم في ذلك الخندق، وعند احتراق اجسادهم وتحولها فحماً ورماداً سيعيد لها الرطوبة والدم، فتشتعل تلك الأجساد مرة أخرى كما اشتعلت في البداية، ويبقون على تلك الحال أبداً. وكذا الأمر بالنسبة للجنة فلا يتصورونها بتصورات حسية من بساتين وأشجار وثمار وقصور بينها أنهار، وفي القصور حور العين وعلمان وولدان مرد، وأهل وشرب، ومباشرة للأبكار، وزيارة الملائكة لهم بالهدايا، وأنهم يزورون رب العالمين. كل هذه الأمور يجب تأويلها يُنظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص٦١-٦٢. وعدم التأويل لهذه الأمور ((هو حقيقة الكفر والضلال، والجهالة وعمى البصر؛ لأن هؤلاء لا يؤمنون بظواهر الآيات والاحبار، ولا يتفحصون عن حقائق أسرار كلام الله وأسرر الأخبار النبوية حين قالوا وبيئوا. فجملة ذلك حق وصدق لامرد عليه حسب ما اقتضى العقل حقيقة ذلك، كما لا يفهم هؤلاء الظلمة الكفرة، أعاذنا الله وإياك أيها الأخ من الكفر والنفاق والفسق والعصيان، ورزقك وإيانا الإيمان والغفران، إنه رحيم بالعباد)) المصدر نفسه، ص ٦٣، يُنظر كذلك: الرسالة الجامعة، النصف الثاني، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(١١٢) سورة الملك، آية ٢.

(١١٣) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص٣٧-٣٨. يُنظر كذلك حول أن الموت ولادة للروح: إخوان الصفاء، جامعة الصفاء، ص٦٦.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩.

(١١٥) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٤٢.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٤٢-٤٣.

(١١٧) يُنظر: المصدر نفسه، ص ٤٤.

(١١٨) سورة الأنبياء، آية ٩٠. يُنظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٤٥.

(١١٩) المصدر والصفحة نفسيهما.

(١٢٠) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(١٢١) سورة الأنفال، آية ٣٧.

(١٢٢) سورة الزمر، آية ٦١.

(١٢٣) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج٣، ص ٤٥-٤٦.

(١٢٤) سورة الجمعة، آية ٦.

- (١٢٥) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٤٦.
- (١٢٦) سورة الشعراء، الآيات ٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥.
- (١٢٧) سورة يوسف، آية ١٠١.
- (١٢٨) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٤٦-٤٧.
- (١٢٩) يرى إخوان الصفاء أن من شرائط الإيمان وخصال المؤمنين الرضا بقضاء الله وقدره، ويتمثل القضاء عندهم بطيب النفس بما يجري عليها من المقادير، وجريان المقادير حسب اعتقادهم هو موجبات أحكام النجوم. وأكدوا أن الرضا بالقضاء هو أقل أعمال بني آدم التي تصعد إلى السماء، وأنه أشرف شرائط الإيمان، وأفضل خصال المؤمنين. وأشاروا إلى قوله تعالى: ((لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ)) الفتح، آية ١٨. وقوله تعالى: ((رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)) التوبة، آية ١٠٠. يُنظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٤، ص ٧٣.
- (١٣٠) سورة المائدة، الآيات ٢٨-٢٩. يُنظر كذلك: رسائل إخوان الصفاء، ج ٤، ص ٧٤.
- (١٣١) سورة طه، الآيات ٧٢-٧٣.
- (١٣٢) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٤، ص ٢٧ بتصرف.
- (١٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٦-٢٧. على ذكر قتل عبدة العجل أود الإشارة إلى تنوع آراء المفسرين حول طريقة قتلهم. وقيل الحديث عن طريقة قتلهم فمن نافلة القول الحديث عن عددهم أولاً إذ ورد في تفسير مجمع البيان أن الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر ألفاً، والذين عبدوا كانوا ستمائة ألف رجل. يُنظر: الطبرسي، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس الهجري)، مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين، قدم له الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٥٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٧، ص ٤٨. أما عن طريقة القتل فورد أن الأمر لم يأتِ بمعنى قتل عبدة العجل أنفسهم بيدهم، بل ورد أنهم قاموا صفيين وقتل بعضهم بعضاً حتى قيل لهم كفوا فكان ذلك شهادة للمقتول، وتوبة للحي على ما تقدم. وقال بعض المفسرين بأن الله تعالى أرسل عليهم ظلاماً ففعلوا ذلك. وقيل وقف الذين عبدوا العجل صفاءً، ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوه. وقيل قام السبعون الذين كانوا مع موسى فقتلوا من عبدوا العجل. وقيل أن يوشع بن نون خرج عليهم وهم محتبون فقال ملعون من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيدٍ أو رجلٍ، فما حل أحد منهم حبوته حتى قُتِلَ منهم من قُتِلَ أي يقتل كل رجل منهم من يليه. وأما الذين لم يعبدوا العجل، ولكنهم كانوا معهم فكان عقابهم أن يقتلوا أنفسهم بيدهم؛ وذلك لأنهم لم يغيروا المنكر، بل اعتزلوا فقط وكان الواجب عليهم قتال عبدة العجل. وقيل إن عدد القتلى بلغ في مجموعهم سبعين ألفاً فعفا الله عنهم، إذ ورد عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما: ((وإنما رفع الله عنهم القتل؛ لأنهم أعطوا المجهود في قتل أنفسهم فما أنعم الله على هذه الأمة نعمة بعد الإسلام هي

أفضل من التوبة. يُنظر: القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٤٠١-٤٠٢.

(١٣٤) أسهب الإخوان في حديثهم عن عيسى بن مريم (ع). يُنظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٤، ص ٢٨-٢٩-٣٠-٣١. والإخوان في شواهدهم التاريخية لم يقفوا عند حد شخصيات الأنبياء والأولياء فقط، بل جعلوا للفلاسفة نصيباً أيضاً، فاستشهدوا بسقراط (٦٩٤ ق.م - ٣٩٩ ق.م) الذي قبل بحكم الموت عليه؛ كونه كان زاهداً في الدنيا راجباً بسرور عالم الأرواح وروحها وريحانها، وأنه عندما أخذ جرعة من السم ليشربها بكى من حوله من الحكماء والفلاسفة حزناً عليه، فأمرهم بأن لا ييخوا عليه؛ لأنه وإن كان مفارقاً لهم كماخون حكماء فضلاء، فإنه ذاهب إلى إخوان له حكماء فضلاء كرماء، وعدد لهم بعض أسماء جماعة من الفلاسفة والحكماء الذين تقدموه. يُنظر: المصدر نفسه، ص ٣٤-٣٥.

(١٣٥) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٤، ص ٢٥. ورد عن واقعة أحد أنه لم يبق مع النبي (ص) إلا ثلاث عشرة نفساً: خمس من المهاجرين هم أبو بكر، وعلي، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والباقون من الأنصار. يُنظر: البكري، عبدالرحمن أحمد، من حياة الخليفة عمر بن الخطاب، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ، ص ٢٩.

(١٣٦) لم يرد هكذا حديث عن أنس وإنما ورد في مسند أحمد بن حنبل وفي صحيح البخاري عن أبي موسى، وإليك الحديث: ((عن أبي موسى أنه كان مع النبي (ص) عود يضرب بين الماء والطين فجاء رجل يستفتح فقال افتح له وبشره بالجنة فإذا هو أبو بكر (رض) قال ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم جاء رجل يستفتح فقال افتح له وبشره بالجنة فإذا هو عمر (رض) ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم جاء رجل فاستفتح فقال افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو بلوى تكون، قال فإذا هو عثمان (رض) ففتحت له وبشرته بالجنة واخبرته فقال الله المستعان. يُراجع: بن حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ، المجلد ٤، ص ٤٠٦. كذلك البخاري، الجعفي الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامة باستنبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج ٤، ص ٢٠١.

(١٣٧) ورد عن عثمان (رض) أنه أكد لأصحابه الذين قرروا حمل السيف للدفاع عنه فأخبرهم أنه يرجو لقاء الله، وليس يهرق بسبب محجمه دم. فصلوا الصبح ذات يوم وأقبل على الناس وأخبرهم أنه رأى في منامه أبي بكر وعمر، وطلبا منه أن يصوم ذلك اليوم؛ لأنه سيفطر عندهما، فأصبح صائماً، وطلب من أصحابه مغادرة هذا المكان بقوله: وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلماً، وأمر أن يفتح باب داره ففتح ودعا بالمصحف فأكب عليه، ودخلوا عليه الدار فقتلوه. يُراجع ابن كثير الدمشقي، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل المتوفى سنة ٧٤٤هـ، البداية والنهاية،

حقيقه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج ٧، ص ٢٢١-٢٢٢.

(١٣٨) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٤، ص ٧٤-٧٥.

(١٣٩) سورة البقرة، آية ١٣٧. كذلك: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٤، ص ٧٥.

(١٤٠) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٤، ص ٣٣. ورد في خطبة للإمام الحسين (ع) ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأتوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. إلا وأني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، وأفحش من ذلك السكوت عن بيان الحق وكتمانه عند تصويب القوانين المخلفة لقوانين الإسلام وأحكام القرآن المسلمة بعنوان أنها من أحكام الإسلام وأنه جاء بها رسول الله (ص).....الخ، يُراجع: الروحاني، الحسيني، السيد محمد صادق، فقه الصادق، مطبعة فروردين، الناشر مؤسسة دار الكتب، قم المقدسة، ط ٣، ١٤١٣هـ - ق.ج ١١، ص ٣٧٩.

(١٤١) العوا، د. عادل، حقيقة إخوان الصفاء، ص ٣١٩.

(١٤٢) يُنظر إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٣٠٦-٣٠٧-٣-٨-٣٠٩.

(١٤٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(١٤٤) يُنظر: المصدر والصفحة نفسهما.

(١٤٥) المصدر نفسه، ص ٣٠٨. يرى الإخوان أنه وعلى الرغم من كل تلك الحدود والأوامر والنواهي التي نحن مطالبين بالتزامها نجد في القرآن قوله تعالى: ((كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)) سورة التكاثر، الآيات ٣-٤-٥-٦-٧-٨.

(١٤٦) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ج ٣، ص ٣٠٨.

(١٤٧) المصدر نفسه، ص ٣٠٩.

(١٤٨) المصدر والصفحة نفسهما.

المصادر والمراجع

أولاً العربية

القرآن الكريم

١. إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، ت بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ط ٢٠٠٤، أربعة أجزاء.
٢. إخوان الصفاء، من تراث إخوان الصفاء جامعة الجامعة، تحقيق وتقديم: عارف تامر، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، ط ٢، بلا تاريخ.
٣. أفلاطون، الجمهورية، نقلها إلى العربية: حنا خباز، دار القلم، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠.
٤. إسماعيل، د. محمد، إخوان الصفا، دار التنوير في الفكر العربي، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، ط ١، ١٩٩٦.
٥. البخاري، الجعفي الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامة باستنبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١.
٦. البكري، عبدالرحمن أحمد، من حياة الخليفة عمر بن الخطاب، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ.
٧. التوحيدي، أبو حيان، (ت ٤٠٠ هـ) الإمتاع والمؤانسة، اعتنى به وعلق عليه محمد الفاضلي، دار الجبل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٨. التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، تحقيق وشرح: حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط ١، ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م.
٩. جاك شورن، الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ابريل، ١٩٨٤.
١٠. حجاب، د. محمد فريد، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، تقديم: د. عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.
١١. الحمد، محمد عبد الحميد، صابئة حران وإخوان الصفا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٨٨.
١٢. بن حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأئوال والأفعال، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
١٣. الدسوقي، د. عمر، إخوان الصفاء، مطبعة الرسالة، مصر، ١٩٤٧.
١٤. الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا، كتاب الطب الروحاني، ضمن كتاب رسائل فلسفية مضاف إليها قطعاً من كتبه المفقودة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩.

- الرضوي، اختر عباس، نظرية النفس عند إخوان الصفاء، سلسلة رسائل أكاديمية (المركز الإسلامي للدراسات المعاصرة)، رئيس التحرير الدكتور الشيخ محمد شقير، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٥. الروحاني، الحسيني، السيد محمد صادق، فقه الصادق، مطبعة فروردين، الناشر مؤسسة دار الكتب، قم المقدسة، ط ٣، ١٤١٣هـ - ق.
١٦. الطبرسي، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس الهجري)، مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين، قدم له الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٧. الطوسي، الخواجه نصير الدين، أخلاق ناصري، ترجمه عن الفارسية ووضع الدراسات والتحليلات العلمية، د. محمد صادق فضل الله، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٨. عبد الله، د. وجيه أحمد، الوجود عند إخوان الصفاء، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.
١٩. عبد النور، د. جبور، إخوان الصفاء، سلسلة نوابغ الفكر العربي (٧)، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٧٠.
٢٠. العوا، د. عادل، حقيقة إخوان الصفاء، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ٨، ١٩٩٣.
٢١. غالب، د. مصطفى، إخوان الصفاء، ضمن سلسلة في سبيل موسوعة فلسفية، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩.
٢٢. الفاخوري، حنا، وخليل الجرّ، تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣.
٢٣. فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٣.
٢٤. فولتير، قاموس فولتير الفلسفي، ترجمة: يوسف نبيل، مراجعة: جلال الدين عز الدين علي، الناشر: مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.
٢٥. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٦. الفقظي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الوزير (٥٦٨هـ - ٦٤٦هـ)، تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى - المنتجات الملتقطات من أخبار العلماء بإخبار الحكماء، تحقيق: يوليوس ليبيرت، ترجم حواشيتها ومقدماتها وأضاف إليها: د. محمد عوني عبد الرؤوف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٧. قمبر، يوحنا، فلاسفة العرب إخوان الصفاء، دار المشرق، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦.
٢٨. ابن كثير الدمشقي، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل المتوفى سنة ٧٤٤هـ، البداية والنهاية، حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٩. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، بلا تاريخ.
٣٠. الكندي، يعقوب ابن إسحاق، رسالة في الحيلة لدفع الأحزان، مخطوط أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢ (ورقة ٢٣-٢٦ب)، الموقع الإلكتروني <http://www.scribd.com> document ,
٣١. المجلسي، العلامة، بحار الأنوار، المكتبة الشيعية، الموقع الإلكتروني <http://www.Shia> [online.library.com](http://www.Shia)
٣١. المستور، الإمام أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الرسالة الجامعة، تاج رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تحقيق: مصطفى غالب، دار صادر، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤.
٣٢. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٤٢١هـ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، مطبعة سليمان زاده، ط١، ١٤٢٦، الناشر طليعة النور، قم.
٣٣. آل ياسين، د. جعفر، فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط، مكتبة الفكر الجامعي، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٧٥.

ثانياً: الأجنبية

- 1-Christopher Biffle , Land scap of the Wisdom-
Aguided Tour of Western philosophy , Crafton Hills college , Mayfield
publishing company , mountain view , California.London. Toronto.
- 2-Fazlu Rahman , Islamic philosophy , Article in the Encyclopedia of
philosophy , published in Macmillan , London and Free press,New
yourk,1967,volum 3-4..
- 3-Lan Richard Netton , The Brethren of Purity (IKhwan al -Safa)include
book History of Islamic philosophy,Edited by ----Seyyed Hossein
Nasr,and Oliver Leaman , Ansariyan publications , Qum,2008 .
- 4-T.J.Debore,The history of philosophy in Islam , translated by Edward -
R-Jones,published by Mrs Rani Kapoor , Cosmo publication , New
Delhi,1933.
- 5-Watt , Montgomery,Islam and the integration of society,printed in Great
Britain , First published , 1961.